مسامرات شهرزاد

المال

سيد إبراهيم

ملحق للعدد ١١٠

مسامرات شهرزاد

المال

تحسيم

ملحق للعدد ١١٠

الفصل الأول

ألقى رئيس المحلفين القرار الذي أجمعوا عليه فعم السكون أرجاء قاعة المحكمة ومجلس النظارة كأن على رؤوسهم الطير ثم نظر القاضي إلى السجين الطويل القامة وأخذ يجمع أوراقه في رزمة وجعل منها كومة على يسار منضدته ثم تناول قلما وكتب بعض كلمات على ورقة أمامه . ثم مد يده إلى درج المنضدة وأخرج قطعة صغيرة مربعة من الحرير الأسود ووضعها في عناية فوق شعره المستعار وبدأ يتكلم

— جيمس مرفت . لقد اتهمت كما كنت تعرف بارتكاب الفظيعة جريمة القتل عمدا بالإدانة . وبعد أن سمعنا القضية في صبر طويل أناة . وإني موافق تمام الموافقة على قرار المحلفين . وليس ثمت ظل من الشك بعد أن سمعنا شهادة السيدة السيئة الحظ التي كانت خطيبتك والتي لم تتورع عن تجريح شهادتها فإنها دخلت مسكن الأخيرة فوجدت خطيبتك مقتولة بالرصاص . ولم تستطع أن تنفي ما ذكرته الأخيرة بوجه أنك شاهدت هذا الباب مرسوم وأنك خرجت سائقا فاحشا وكان المسدس بقبضتك قريبا من المقتولة على مقربة من مقتل خطيبتك في بعض الغرفة التي قتلت عليها . أما ما ذكرته على لسان محاميك بأنك تركت خطيبتك تلك الليلة لتتصل بعلاقتك بها فمعناه أنك تدعي أن مقتل السيدة قبل أو بعد ذلك

الحنث باليمين وشهادة الزور تقضي على حياته . ومما يزيد في مشكلات أيامه هي أن الخادم الآنسة [illegible] شهادة هو الموجود [illegible] من الأنفع في حالة زفافه أو [illegible] ماله . ولا يستطيع من وقع نظره على هذه الآنسة وهي في موقف الشهود وبيناها تنقضات طورا وتومئها تارة حالا أن يقبل هذا الاتضاع الكاذب من الذي قتل في بيته بالموجود وهو الرجل الذي لا أهمية له في هذا العالم سوى الله . لم يبق أمامي إلا أن أصدر الحكم الذي يقضي به القانون . أما ما يوصي به المتهم من استعمال الرأفة فسيقدم إلى الجهات المختصة

ثم قام وأصدر الحكم بالإعدام وخرج السجين إلى طريق القاعة بغير أن يبدو في وجهه أي أثر . وهكذا انتهت قضية [illegible] ركلي . ولما أعلن بعد بضعة أيام أن حكم الإعدام قد استبدلوه بالأشغال الشاقة المؤبدة نددت بعض الصحف والناس بأن هذه رأفة في غير موضعها وأن [illegible] الشنق

قال جاك جاوفر وهو يغادر قاعة المحكمة مع المحامي الشرعي الذي كان يدافع عن موكله وصديقه :

— وهكذا فازت السيدة الصغيرة

فنظر إليه المحامي مبتسما وقال :

— أتعتقد حقا أن هذه السيدة الشابة تستحق جريمة الكاذبة

ضحية من [illegible]

فقال جلوفر في تألم : من تعني ؟

فقال المحامي وهو يهز رأسه

ـ أقصد الآن ـ ومنظر أن يوجد مجنون ؟ وكل ما رآه مما دار بينه وبين تلك الفتاة في تلك المقابلة بين الأمس واليوم؟ لقد أثر في نفسي ما رأيته حين تقدمت تلك الفتاة لتأدية الشهادة يا لها من سيدة !

ونزلا حينئذ إلى مدخل المحكمة وكانت هناك سيارة فخمة وقد وقف أحد الخدم يفتح بابها لفتاة ترتدي ثيابا سوداء فرأيا وجها مشرقا قد تعدى جماله كل وصف . ثم اختفت الفتاة وراء أستار السيارة .

فتنهد المحامي وقال : لا شك أنه مجنون . إني كنت قد رأيت في حياتي وجوها تنم عن نفس طاهرة فهي وجه هذه الفتاة

قال جلوفر : لقد تأثرت بجمالها أيها الأمير جون . فأنت تتكلم عن عاطفة .

فقال الأمير جون في انفعال : حقا يا جلوفر إنك أحيانا لا تطاق

افترق الرجلان وسار جلوفر في شارع أولد بيلي إلى أن التقى بشريكه الآخر في مكتب (رنت وجلوفر وجفسون) المحامين ووكلاء الأشغال . وكان المستر رنت يتحفز للانصراف إلى منزله ولكنه جلس حين رأى شريكه الأصغر قادما ثم قال

لقد سمعت الأخبار بالتليفون . ويقول البعض أنه لا وجه

للاستئناف غير أن الطاعن استطاع الرأفة فقد يخفف عن العقوبة .
وأظن ان شهادة الأستاذة هي التي شفعت عليه

— نعم . لقد كانت أشبه شيء بمائدة على الارض وقد تؤدي شهادتها . وقد حاول الدفاع بكل ما أوتي من قوة أن يزحزحها فيه أصبح على يقين من قدرتها وثقتها بصفاتها السماوية وقدرها الطاهرة

فقال وهو يضغط على أصابعه : لقد فازت !

— كلا . لم تفز بعد . ولن يكون ذلك إلا بعد تعرف حبيبتي أو ..

— أو . ماذا . ان لم يسمح فسيسجن طول حياته . اني أوصي بأن أحافظ بحقي وتحقيق لإسعاد حبيبي

— حقا ؟ لم أكن أظن انك تحب حبيبي الى هذا الحد

— لقد كان أبوه أول عملائي . وهو من خير الناس ولك أن تقول انه الدعامة التي قام عليها مكتبنا إذ كان أولنا وتحسبون وأنا على آخر رمق حتى عهد الينا بأعماله فأنقذنا من الارتباك وكان أبوك رحمه الله لا يقطع شيئا عن ذلك واني لأعجب كيف لم يخبرك .

فقال حبيب : لقد أخبرني . ولكن هل أنت مستعد لمساعدة حبيب

— نعم . بكل ما أوتيت من قوة

— حسنا . سأقابله غدا . وبعد ذكر ذلك لقد أخرجوا حبيبنا من حوض قريب ليذهب الى المستشفى لاجراء عملية جراحية فهل هذا من النظم المعتادة ؟

فقال رنف : نعم . ذلك ممكن . ولكن إذا قال

أتظن أنه في الإمكان استخراج ... الأجزاء كطلبة الرافدة

الصوتية مثلاً في أحد المستشفيات بعد بضعة أشهر

وهل هي مريضة بهذا المرض

.. يمكن أن يدعي ذلك

.. إنك تفكر في السبيل الآخر (أي .. التي ذكرتها)

فقال بالك ... : نعم

.. نعم يمكن استرداده أن تأتي حياً

.. سيكون حيا . والشيء الوحيد الباقي هو . أين أجد الفتاة !

الوصيف الباقي

جمعت ليديا بين الأوراق المتناثرة على منضدتها وقذفت بها إلى النار ثم سمعت دقا على باب غرفتها فالتفتت وهي جالسة وإذا بصاحبة المنزل العجوز تدخل ومعها صينية عليها فنجان كبير من الشاي وقطعتان كبيرتان من الخبز والجبن . ثم قالت

.. هل أتعبتك أيتها الآنسة بيل

فقالت الفتاة وقد وقفت تتمطى : نعم . من شغل هذا اليوم

قامت فتاة هيفاء أطول قامة من المتوسط ... وقد ورثت عن أسلافها الكلتيين تلك العيون السنجابية اللون وتلك الملامح الجذابة وقد ... كانا ... الجمالية

قالت المسز موريتاك وهي تمسح يديها في مئزرها

ـ لقد ساءني أن أرى دموعك

فتنهدت ليديا قليلاً وأخرجت قطعة كبيرة من الورق المقوى قد رسمت عليها بالقلم الرصاص صورة رجل مسلح وهو يصوب مسدسه في وجه جماعة من الوطنيين وأوقفهم عند حدهم

فقالت المسز موريتاك في اعجاب ظاهر :

ـ ان هذا لمدهش يا آنسة . وأظن أن هذه الأشياء تحدث أحيانا فعبست الفتاة ووضعت الرسم في الصندوق وقالت :

ـ ان هذه الأشياء تحدث في الروايات التي أرسم صورها للمستر موريتاك . أما اللصوص الحقيقيون فيأتون في ثياب كتبة المحامين يحملون الينا الأحكام بالمبالغ المستحقة والمحكمة . هل جاء أحد اليوم ؟

ـ لم يأت إلا كاتب من مكتب المحامي بيرس . وقد أخبرته أنك خرجت ولكني لا أحسن الكذب

فقالت الفتاة في يأس : حقا لا أدري متى أنتهي من هذه الديون فلدي الآن من أوراق الأحكام ما يكفي لتغطية جدران المنزل .

منذ ثلاث سنوات مات والد ليديا فجأة فتركها بلا مال ولا صديق وحيدة في الدنيا . وكانت تعلم أنه مثقل بالديون ولكنها لم تدرك إلى أي حد كانت ديونه . وقد التقى بها أحد الدائنين غداة وفاة والدها وأشار من طرف خفي إلى امكان عدم دفع الديون لأن الوفاة تلغي مثل هذه الديون . ولكنها ارتكبت حماقة في شكل

كرم بأن كتبت لجميع دائني أبيها بأنها تأخذ على عاتقها تسديد هذه الديون التي تبلغ بضع مئات من الجنيهات . وكان الدم الاسكاتي الذي يجري في عروقها هو الذي دفع بها لحمل هذا العبء الثقيل ولكنها لم تندم قط . وكان بين الدائنين من أدرك سمو أخلاقها فأعفاها ولكن آخرون ....

كانت تتناول مرتبا لا بأس به من ادارة الديلي ميرور ولكن لابد لها من مرتب يفي للقيام بما تعهدت به نحو دائني أبيها

قالت المرأة : هل اعتزمت الخروج هذا المساء يا آنسة

— نعم . فعلي أن أرسم الملابس اللازمة في رواية كرفين الجديدة وسأعود هنا الى الساعة الثانية عشرة .

— لابد أن تتخلصي يوما ما أيتها الآنسة من متاعبك . وأنا أراهن أنك ستتزوجين من شاب غني

— ستخسرين الرهان يا مسز مورجان . فالشبان الاغنياء الذين يتزوجون الفتيات العاملات لا يوجدون الا في الحكايات التي أرسم صورها . فاذا تزوجت لا أتزوج الا شابا فقيرا لا يلبث أن يقع فريسة المرض ويحتاج الى التمريض وسأمقته الى حد المقاطعة في عشرته وأشفق عليه الى حد عدم امكاني الهرب منه

— ولكن تحدث أحيانا أشياء ...

— لا يحدث لي أنا . على أني لا أريد الزواج . فعلي أن أدفع هذه الديون أولا . ولن يتم لي ذلك حتى أصير عجوزا شوهاء

انتهت ليندا من تناول الشاي . وبينما كانت تستعد للذهاب
الى الملعب رأت السيدة نوبرجان وقالت

— لقد نسيت يا آنسة أن أخبرك أن سيداً وسيدة سألا عنك

— سيد وسيدة . ومن هما

— لست أعلم . فان الخادمة هي التي قابلتهما وأخبرتهما أنك
في الخارج

ألم يتركا اسما

— كلا . بل سألا ان كانت الآنسة تقيم هنا وهل يمكن
مقابلتها

— آه . لست أدري بكم يطالباني من الدين

ثم صرفت المسألة عن ذهنها الى أن خطر ببالها أن تسأل
الادارة بالتليفون عن عدد الاشكال المطلوب رسمها إذ قال الرئيس
المعرض المسابقة

— لقد سأل بعضهم عنك في المكتب اليوم . ويقولون أنهم
من أصدقائك القدماء ورغبوا في رؤيتك . وقد أخبرتهم بأنك
ذاهبة الى الملعب هذا المساء فربما يقابلونك هناك

فصمتت في حيرة : من هم هؤلاء الأصدقاء .

— حسنا . لست أدري .

ولما ذهبت الى الملعب أجالت أنظارها فلم تجد أحداً
تعرفه وكذلك لم يتقدم اليها أحد في الفترة التي بين الفصول .

وكان فى الصف الذى أمامها نحو عينيها شخصان يجتذبان فيها النظر . وكانا رجلا وفتاة . أما الرجل فكان يبلغ نحو الخمسين أسمر اللون أصلع الرأس غير أنه كان أوربيا لا أمريكيا كانتا زرقاوين وكانت الفتاة التى معه شقراء وقد بدت فى عينى ليديا النقادتين جميلة فوق الحد المعروف للجمال ولون رأسها متوجا بشعر ذهبى وملابسها غاية فى التناسب . وكان فيها ما يكاد يغرى من يراها بتقبيلها وكان فى هيئتها من آيات الطهر ما جعل ليديا تميل اليها بكل جوارحها حتى كاد ذهنها ينصرف عن المسرح . ويظهر أن هذه الغريبة كانت مهتمة بأمرها لأنها فاجأتها غير مرة تنظر الى الخلف لتراها .

وبذلت ليديا ما تستطيع من جهد للقيام بعملها فرسمت رسما تخطيطيا للملابس الغريبة التى لفتت أنظار النظارة فى الرواية المعروضة عليهم وبانهماكها فى عملها نسيت الشخصين المهتمين بها

وفى نهاية الرواية قامت ليديا واتجهت نحو باب الملعب وقد لفت رداءها حول كتفيها لأن البرد كان قارسا .

وكان الأغنياء من النظارة يستدعون سياراتهم وبعد هؤلاء جاءت عربات (التاكسى) تدعو من يريد الركوب ولم تكن ليديا من هؤلاء أو أولئك لأنها كانت تذهب الى منزلها فى عربة الأمنيبوس . ولم تستطع أن تجد لنفسها مكانا فى عربتين مرتا عليها مزدحمتين بالركاب .

وبينما كانت تنتظر ضربة أخرى جاءت سيارة جميلة ووقفت إلى جانب الرصيف وأخرج السائق رأسه وصاح قائلا

— هل الآنسة بيل هنا

فصعدت الفتاة إلى السيارة مدهوشة وقالت: أنا هي الآنسة بيل

فقال الرجل: لقد أرسلني رئيس التحرير إليك

كان رئيس تحرير الصحيفة من ذوي الشذوذ فقد أيقظها مرة بعد منتصف الليل لترسم ملابس حفلة رقص تنكرية ولكنها لا تعهد فيه مثل هذه الأعمال الإنسانية. غير أنها ما لبثت أن سمعت الضربة الثالثة

وكان الثلج المتساقط على زجاج النوافذ قد جعلها غير شفافة فلم تر في طريقها سوى بعض المصابيح التي كانت السيارة تمر بها في سرعة. فحاولت أن تفتح إحدى النوافذ فلم تفلح فانصرفت عن المحاولة ثم أخذت تقرع النافذة لتلفت نظر السائق لأنها لاحظت أن السيارة تسير مسرعة نحو الشرق وهي تعلم أن الطريق إلى شارع فليت ليس به جسر.

أن كان السائق قد سمع القرع على النافذة فإنه لم يرد بالرد من سرعته فعاودت قرع النافذة بشدة. لم تكن خائفة بل غاضبة غير أنها لما أحست نوعا من القلق ورأت أن النوافذ مقفلة بإحكام بدأ الخوف يسري إليها. كانت تستطيع أن تحطم النافذة بقدمها ولكنها ترددت في محاولة ذلك. ثم جلست تفكر وعاودها

مضمونها . لا يمكن أن تكون خطيرة فذلك لا يحصل في القرن العشرين اللهم الا في الروايات . لقد ناداها السائق باسمها فلعل رئيس التحرير يريد أن يقابلها في بيته . وهو قاطن في ضواحي المدينة . ربما كان ذلك صحيحا ولكنها رفضت بضربة الأحداث المفاجئة وأرادت

حاولت مرة أخرى أن تفتح الباب فلم تستطع . ثم رأت نورا ينفذ الى داخل السيارة من الخلف فالتفتت فرأت مصابيح سيارة ضخمة وراءها . وكانت السيارتان الآن تسيران في طريق العمومي . ولم تلبث السيارة الضخمة أن تقدمت بحركة سريعة لترغم سيارتها على الوقوف . ثم رأت شبحين وسمعت بعض الأصوات وعقب ذلك فتح باب سيارتها بعنف وتقدم الى الباب شاب قال بصوت رقيق

— أتسمحين بالنزول أيتها الآنسة بيل

وقال الرجل الآخر واقفا الى جانب السائق وقد ارتدى معطفا ورفع ياقته الى أنفه وكان يقول للسائق

— عد الى أصدقائك وأخبرهم أن الآنسة بيل في بيتي من بعد يوم . وكذلك يمكنك أن تقدم شمعة أو اثنتين للقديس الذي تحبه لأنك مازلت حيا . اذهب

فقال السائق: لست أدري عم تتكلم فأنا أوصل السيدة الى مكتبها

فقال الآخر في أدب: هل مكتب المحافظ في الضواحي

ثم رأى الفتاة ترفع قبعتها تحية لها وقال :

— هيا بنا أيتها الآنسة بيل . واني أعدك برحلة شائقة وان كان ختامها لا يقل روعة عن الرحلة الأولى

الفصل الثالث

تقدم الشاب القصير البدين من الآنسة بيل وتناول يدها في رفق وقادها إلى السيارة الأمامية وقد سارت برفقته بغير تردد أو سؤال وتبعهما الرجل ذو المعطف. وكانت لهجتها في ارتباك فلم توجه اليهما أي سؤال بعد سير العربة. ثم تكلم الشاب فقال

- يالها من مهزلة ؟ ألم أخبرك يا زنت أنهم قوم ماهرون

فقال الآخر في سخرية: لست ممن يعجبون بالأعمال السافلة

فضحك الشاب وقال: أما أنا فمعجب بهم. وإنني لأعترف انني انزعجت حين شاهدت أن الآنسة بيل لم تستدع العربة. بل ذهبت الى العربة غير أني رغم ذلك معجب بهم

فقالت الفتاة: ما معنى كل هذا. إنه يربكني ويحيرني. الى أين نحن ذاهبون الآن. الى مكتب محرر الميجافون ؟

فقال الشاب: أخشى أنك لن تستطيعي الذهاب إلى مكتب الميجافون هذه الليلة وليس في الإمكان إيضاح السبب في اختطافك

فقالت وهي لا تصدق: اختطافي ؟ أتعني أن ذلك الرجل ...

كان ذاهبا بك الى الريف. ولعله كان سيواصل السير طول الليل ثم يتركك في مكان من المتعذر الوصول اليه. ولست أظن أنه كان يقصد بك أذى لأنهم لا يخاطرون إلا ضرورة وقصدهم انما هو ابعادك عن لندن هذه الليلة. ولكن من المدهش أنهم

عرفوا أن اختيارنا قد وقع عليك . أتستطيع يا رفيقتي أن تفسر ذلك المسمى

فقالت الفتاة في انزعاج : وقع اختياركم علي ؟ أظن أن لي الحق في طلب الإيضاح . وأرجو أن تحضروا إلى مكتبي لنلتقي حول

فقال في التلطف : إن من تبعة وظيفتي أن أفحص في الأسبوع بضعة بيانات قليلة تأتينا من الأشكال لا يأتي أحد دونك بعد مائة عام

— يظهر أنكم مطلعون على شئوني الخاصة

— إن من لا يخطر ذلك ببالي . ففي الأشهر الخمسة الماضية [illegible] ضاعفت تسعة وثلاثين شكلا في العام الماضي سبعة وعشرين [illegible] وأنت تنفقين الآن ما لا يزيد على ثلاثين [illegible] في الأسبوع [illegible] كل إيرادك بنفسك إلى دائني أبيك

فقالت في حدة : يا لك من فضولي وقح

— كلا . لست وقحا . ولكن المناسبة أذكرك أن [illegible] جوني جيلوفر من مكتب (دفيس جيلوفر وسمسون) والسيد [illegible] الذي بجانبك هو المحامي شريكي الأكبر . [illegible] وشاهدي في غير أن يكون مستمعا أو قريبا من الموجودين [illegible] إلى حد ما

— على أني لا أستطيع أن أقول إنني أحب المحامين

فقال جيلوفر : هذا أستطيع إدراكه

فقالت : ولكني لا أرغب في إطالة حركتكم

فقال المستر رنت : ان الامر لا يحتمل خطراً من ذلك . فالواقع أيتها الآنسة بيل هو اننا الآن نخالف القانون بتصرفاتنا وسنطلعك على تفاصيل ما نحن مقدمون عليه . فان أبلغت الامر الى البوليس قضى علينا . ومن هذا يتضح لك ان المسألة أهم في نظرنا مما هي في نظرك : وها نحن قد وصلنا

كانت العربة تسير في طريق تحف جانبيه الاشجار ثم وقفت أمام بيت كبير وساعدها رنت على النزول وقادها الى بهو كبير

ثم قال الشاب : من هنا من فضلك . اسمحي لك بأن أريك الطريق ثم فتح باباً فوجدت نفسها في غرفة استقبال كبيرة مفروشة بالاثاث الوثير ويضيئها مصباحان من الفضة معلقان في سقفها وما أراح بالها أن سيدة مسنة نهضت لتحييها

فقال رنت : هذه زوجتي يا آنسة بيل . وأظن ان المفهوم أن هذا منزلي

فقالت السيدة مبتسمة : اذن وجدتما السيدة الشابة . وما هو رأي الآنسة بيل في اقتراحكما

حينئذ دخل جاي فرسد أن خلع معطفه وقبعته . وكان لا يختلف عن الشبان الذين يغادرون الجامعات كل سنة . وقد لاحظت ليديا أنه حسن الصورة جذاب الملامح وبعينيه ما يبعث على الثقة . قال

- لست أدري أيتها الآنسة ان كان من واجبي أن أوضح لك الامر أو يقوم بذلك صديقي وشريكي في الملامة

فقال الآخر : أرجو اعفائي . (ولزوجته) هيا بنا يا عزيزتي

فغادرها ليتمكن جاك جلوفر من ايضاح الأمر للآنسة

فقالت السيدة : هل هي على علم بالأمر

فضحكت ليديا وهي لا ترى سببا للسرور أو الضحك

وانتظر جاك جلوفر الى أن أغلق الباب وراءهما ثم شرع يتكلم وهو ينظر الى أرض الغرفة

— لست أدري كيف أبدأ أيتها الآنسة . وبعد أن رأيتك أخذ ضميري يعذبني لأني لست أفهم من الأول . فهل سمعت بمقتل بلفورد

مقتل بلفورد ؟ طبعا . ومن ذا الذي لم يسمع به

— من حسن الحظ اذن أننا لسنا في حاجة الى ايضاح ظروف القضية .

— انني أعلم فقط ان المستر مرديث قد قتل المستر بلفورد بدافع الغيرة . وان المستر مرديث قد خذل خطيبته بنذالة وهي تؤدي شهادتها .

أي أنه أنكر غيرته وأقسم انه كان قد أبلغ الآنسة برجرانف أنه عدل عن الزواج منها وانه لم يكن يعرف ان بلفورد على علاقة بها

— لقد قال ذلك لينجو بحياته لأن الآنسة برجرانف قررت في شهادتها أن شيئا من ذلك لم يحصل

فقال جلوفر : هذا صحيح ولكن ما تجهلينه أيتها الآنسة بيلي هو أن الآنسة برجرانف ابنة عمة المستر مرديث . وأنها ورثت أجزاء

الأكثر من ٥٠٠ ألف من الجنيهات من تركة موديت . إن لم يحصل أحد منهن . إن موديت صديقي بالرغم من أنه محكوم عليه بالسجن طول الحياة وأنا واثق كما أثق بوجودك أمامي أنه لم يقتل بالمرة وإنما هي مكيدة مدبرة لقتله أو لسجنه . والحقيقة هي أن هذه الفتاة كانت خطيبته ثم وقعت في أمور شائنة عن أبويها ففسخ الخطبة وذهب تلك الليلة ليبلغها ذلك

أصغت الفتاة لهذه القصة المدهشة وهي متحيرة ثم قالت

— لست أدرك علاقة ذلك بي

— ولكني سأروي لك طرفاً آخر من القصة يجهله الجمهور . كان والد موديت يستحسن الزواج المبكر وقد اشترط في وصيته أنه إذا لم يتزوج ولده قبل بلوغه سن الثلاثين تذهب جميع ثروته إلى شقيقته وأولادها من بعدها . وشقيقته هي السيدة جيرلند التي رأيتها وابنتها هي جان جيرلند

— كم يبلغ الآن موديت من السن

— يبلغ الثلاثين يوم الاثنين المقبل ومن اللازم أن يتزوج قبل يوم الاثنين

— أيتزوج وهو في السجن

— كلا . لو كان ذلك ممكناً لما ترددنا في اتخاذ السبيل إلى ذلك ولكن وزير الداخلية لم يسمح بذلك

— أفهم . كمل حديثك

- اسمحي لي يا آنسة بيل بالإيضاح . وأرجو ألا تتكدري فهل إذا أمكن المجيء بالمستر مورديث إلى هذا المنزل صباح الغد تقبلين الزواج به

- أنا . أتزوج رجلا لم يقع نظري عليه : أتزوج قاتلا ؟

- ليس الرجل قاتلا

- ولكن هذا مستحيل . ولماذا أتزوجه أنا بالذات

- لما فكرنا في هذا الموضوع بحثنا عن فتاة تستفيد من هذا الزواج . ورأى شريكي رنت أن نبحث في سجلات المحاكم عن فتاة في حاجة شديدة للمال فوجدنا أربع فتيات لا يصلح الزواج منهن الا واحدة هي أنت . أرجو ألا تقاطعيني . أخذنا نستعلم عنك من جميع النواحي لأن آل برجرلند أصحوا إما نسمي له فظلوا يتمون أننا أسموا كاملا . وقد علمنا أنك غير معطوبة لأحد وعليك دين فادحة وليس لك أقارب أو أصدقاء . ونحن نقدم لك أيتها الآنسة - وصدقيني أني أشعر بمخلتي وأنا أعرض عليك ذلك - نقدم لك خمسة آلاف جنيه في العام طول حياتك وعشرين ألفا من الجنيهات في الحال ونعدك بأن نوجدك لن يضايقك من الحفلة التي يتم فيها الزواج

أصغت الفتاة وكأنها في حلم . أنها لا تلبث أن تستيقظ فتجد المسز مورجان تقدم لها فنجانا من الشاي . ولكن هاهو الشاب الواقف أمامها يعرض عليها أمراً واقعاً فقالت

... لقد فاجأتني . وهذا أمر يدعو الى التفكير وأنا كان المستر مريديث في السجن ...

ليس المستر مريديث في السجن لقد أفرج عنه منذ يومين لإجراء عملية جراحية في احدى المستشفيات وقد فر من المستشفى أمس ولم يعد الى الآن هنا . وقد جاء الي رجال البوليس ويظهر انهم يظنون أنه هنا لأن البوليس قد زارنا وفتش جميع أنحاء المنزل فلم يجده والآن ماذا لديك يا آنسة بيلي

لست أدري ماذا أقول . لأنني أكاد أعتقد أنني في حلم قوي . هل أستطيع أن أرى المستر مريديث ؟

... ليس ذلك في الإمكان قبل صباح الغد . وقد أعددنا جميع ما يلزم الزواج فحصلنا على الترخيص والساعة الثامنة غدا . الزواج الذي يعقد قبل الثامنة صباحا أو بعد الثالثة مساء غير قانوني في هذه البلاد .. يحضر الكاهن لإتمام عقد الزواج

أعقب ذلك فترة من السكوت جلست الفتاة أثناءها تحول وجهها بين يديها وهي تفكر . ولاحظ ويلوفر ينظر اليها بعطف ثم قالت

... أظن أنني فهمت قبل . وأنت مخطئ فيما يختص ببعض الأحكام الصادرة ضدي فقد بلغت خمسة وعشرين سنة منذ شهرين وقد سألت المحامين

ـ شكراً لك أيتها الآنسة

الفصل الرابع

صرفت الفتاة تلك الليلة في الغرفة التي ذهبت اليها المرأة العجوز وهي تفكر ولم تستطع الى النوم سبيلا بالرغم من اجهادها الذي ينالها . لم يسبق لها التفكير في أمر الزواج بصفة جدية . وهذا الزواج المعروض عليها ليس فيه بالخيط وان كانت ستصير زوجة بالاسم فقط ويكون زوجها خلال عشرين عاما في غيابات السجون . على أي حال فقد صدقت أن مديحة بريئة

ولقد حارت فيما تقول للعجوز عن رجاني بعدما تفكرت في مكتب المحرر . غير أن ايرادا يبلغ خمسة آلاف جنيه في العام يسهل له الطالب . تستطيع به أن تعيش في ايطاليا وتدرس الفن الذي تحبه على أيدي كبار الاساتذة ويكون لها سيارة خاصة الى غير ذلك من المزايا . أما مساوئ هذا المشروع . أية مساوئ وأوه . ليست هي ممن يقع في حبائل الحب لانها درست ماعليه الرجال من الضعف . ثم قالت في نفسها

- ان الله يريد أن أبقى دائما طيلة حياتي

وعند السابعة صباحا أطلت من النافذة وعندئذ دخلت العجوز وقد تحمل اليها فنجانا من الشاي وعندما نظرت الى الفراش ثم قالت

- أخشى أن تكوني لم تتمتعي بالنوم لان هذا الامر قد أقض مضجعك . ثم وضعت يدها على ذراع الفتاة في رفق وقالت

.. ونحن في الواقع يقلقنا جميعا وأخشى أن يسبب لنا كثيرا من المتاعب . وقد خطر ذلك للفتاة أيضا فقالت

ألا يضيركم اذا علم ولاة الأمور أنكم ساعدتم على فراره

.. فراره يا عزيزتي . لم نسمع عن فرار أحد . كل ما نعرفه هو أن المستر مورتيمر قد أحب الفتاة ليتزوج في هذا المنزل وأما كيف وصل الى هذا المنزل فنحن مالا نعلمه

أخذت الفتاة تعد نفسها للحادث المقبل وعند الساعة الثامنة سمعت قرعا على باب الغرفة . ثم دخلت المسز وندت وقالت

- أنهم في انتظارك

وكان وجه السيدة منقبضا قليلا . أما الفتاة فكانت هادئة . فتبعتها الى غرفة الاستقبال وكان بها أربعة رجال كانت تعرف منهم المستر وندت والمستر جلوفر . وكان الثالث يرتدي رداء الكهنة فأدركت أنه الكاهن الذي سيقوم بالخدمة . أما الرابع فكان شابا هزيلا استطالت لحيته وقص شعره وكانت الملابس التي يرتديها واسعة عليه . فنظرت اليه بعين الشفقة والحنو . أما هو فقد التمعت عيونها ثم تقدم منها وتناول يدها وقال :

هذه هي الآنسة بيل . أليس كذلك . انني آسف لالتقائنا في هذه الظروف غير السارة . وأظن أن جلوفر قد وضح لك المسألة . فأحنت رأسها موافقة فعاد يقول

- لاشك أن جلوفر قد أطلعك على الاسباب الداعية لهذا الزواج.

وعن الرقيب الخاص بك وصديقي الذي شاركك كل الشكوى ضد التمويل

ثم تقدم معها نحو الكاهن وقال في سخرية

ـ فلنبدأ الآن .

هذا كلما همّنا الاستقبال كأنه حلم ولم تدرك ماذا جرى حتى بعد أن وضع خاتم في أصبعها . ثم ركعت بين يدي الكاهن فزوجهما بالبركة والصلوات الصالحات ثم قامت في بطء ونظرت الى زوجها وقالت :

ـ أظن أنه سيمضي الآن

فأسرع جاك جيلوفر وأمسكها وحملها الى مقعد وثير . وبعد قليل عاد اليها صوابها فوجدت نفسها تنظر الى جيمس ديبث الذي قال :

ـ هل أنت أحسن حالا . لابد أنك تعبت كثيرا . أتذكرين ياسمين حقا أنها لم تتم ؟

هزت الفتاة رأسها . فعاد يقول

ـ أرجو أن تنسي الأمر المضحك فربما أكون دعابة من زوجي .

ثم ابتسم والتفت نحو المستر ونش وقال :

ـ يا مستر ونش . يجب أن أعترف أمام شهود أنني لست من المفتش الذي سمح وزير الداخلية بارسالي اليه . وكما أخبرتك أنه قد سمح لي بالحضور هذا الصباح الى هذا المنزل لعقد زواجي لم أكن صادقا

فقال المستر ونت : كما يؤلمني أن أسمع منك ذلك وأرى من واجبي أن أسلمك للبوليس يامستر مرديث .

كان هذا جزءاً من الرواية التي تمثل وقد علمت الفتاة أن المقصود من ذلك هو تبرئة المستر ونت وشريكه من الاشتراك في جريمة الحرب . وما كاد ونت ينطق بكلامه حتى سمعت دقات عنيفة على الباب الخارجي وأسرع المستر جلوفر ففتح الباب . ولم يكن الطارق رجال البوليس كما كان يتوقع . بل كانت فتاة تلبس معطفا يغطيها الى عينيها . دفعت جلوفر جانبا وسارت قدما حتى وصلت الى غرفة الجلوس . ولما خلعت معطفها عرفتها ليديا في الحال لانها كانت الفتاة الحسناء التي رأتها في الملعب الليلة السابقة فقال جلوفر في تؤدة : ماذا نستطيع أن نفعل من أجلك ياسيدتي

— أريد أن أرى مرديث

— آه . أظن انك دائما في حاجة الى مرديث ولكنك قد وصلت متأخرة ثم وقعت عيناها على الكاهن فقالت

— متأخرة ، اذن لقد تزوج .

ثم عضت على شفتيها ونظرت الى ليديا وكانت عيناها لاتنم عن شيء . كان مرديث قد اختفى . وكانت ليديا تفكر أين يمكن أن يذهب . لعله ذهب ليسلم نفسه الى البوليس . وبينما هي تفكر سمع صوت اطلاق مسدس خارج المنزل فخرج جلوفر الى الخارج باقصى مايمكنه من السرعة . وكان الثلج يتساقط ولا أثر لاي

انطلق في الشارع يجري في طريق خلف المنزل ثم انعطف الى اليمين ووصل يلهث الى مخزن للآلات الصغيرة ثم وقف . ورأى رجلا ممددا على الارض ورأسه غارق في بركة من الدماء وفي يده مسدس فصرخ صراخ الرعب وأسرع نحو الرجل

كان الرجل هو جيمس مرديث . وكان قد مات

الفصل الخامس

ثم جاء جلوفر وقد سمع طلقات على الطريق فالتفت فرأى رجلا تكاد تقرأ على وجهه كلمة « بوليس سري » فصار جاك ينظر الى الجثة !

قال الشرطي : من هذا

فقال جاك : انه جيمس مرديث

أهو ميت ؟ لقد انتحر إذن .

لم يجب جلوفر بشيء غير أنه أخذ يراقب الشرطي وهو يفحص الجثة في سرعة . كانت رصاصة قد اخترقت رأسه من صدغه الايسر وكان أثر البارود ظاهرا في أسفل الوجه

ثم قال الشرطي :

— أمر فظيع يا مستر جلوفر . هل تستطيع ايضاح سبب وجود هذا الرجل هنا

— لقد جاء ليتزوج . أظن أن هذا يدهشك ولكنه أمر واقع إذ قد تزوج منذ عشر دقائق . فإن جئت الى المنزل وفحصت الأمر

تردد الشرطي قليلاً . ولكن حضر حينئذ بعض رفاقه الى مكان الحادث فقاده جلوفر الى المنزل من باب خلفي الى مكتب المستر رنت الذي كان ينتظرهما . ثم قال جلوفر

— ان لم أكن مخطئاً فأنت المفتش كوهين من رجال سكوتلانديارد

— نعم . هذا هو اسمي . ومن الخير يا مستر جلوفر ألا يصرح الانسان بشيء لا يستطيع اثباته هنا

فقال جلوفر وهو لا يعبأ بهذا التحذير

— أستطيع أن أخبرك ان المستر ورديث قد حضر الى هذا المنزل الساعة الثامنة إلا ربعا وسلم نفسه لشريكي . وعند الساعة الثامنة أبلغ شريكي دائرة البوليس بأنه هنا . وفي الفترة التي انتظرنا البوليس فيها تم زواجه

فقال الشرطي ساخراً : هل اتفق أن يكون كاهن مقيما هنا

— نعم . اتفق انه كان هنا لأني تعمدت أن يكون هنا لأني كنت أؤمل أن يتمكن ورديث من المجيء فيتزوج لأسباب وضحها شريكي

— وهل ساعدتموه على الهرب

— كلا . لم نساعده كما أن وزير الداخلية لم يساعده عندما صرح له بالذهاب الى المستشفى

ثم عاد الشرطي الى الجثة وبقي جاك وشريكه على انفراد فقال برنت

— ماذا حدث (وكان صوته متعجبا)

فقال جاك في سرعة : لقد مات

— هل انتحر

— وهل انتحر بلفورد ؟ وأين الاولاد ؟

لقد تركناهم مع المسز برنت والآنسة بيل

— بل المستر دوديث

لقد تعقدت الامور . ولو أن الخلاص من المسئولية أمر سهل

ووجدا النساء الثلاث في غرفة الجلوس وقابلتهما ايفيلين بوجه ممتقع وقالت : ماذا جرى . هل مات

فقال : نعم . وكانت عيناه محدقتان بالفتاة الاخرى . وكانت عيناها محمرتين وفي وجهها علامات الالم الاليم هذا أدهشه كثيرا

قالت جان : هل قتل نفسه

الشيء الوحيد الذي أنا واثق منه ان المقتول لم يطلق على نفسه

فقالت جان في حدة : كيف تجرؤ أن تقول ذلك

اني أجرؤ أن أقول أشياء كثيرة . لقد سألتني ان كان الحادث انتحاراً فانا أخبرك أن الحادث ليس انتحاراً بل هو حادث قتل . وجد جيمس دوديث قتيلا وفي يده مسدس وقد أصابه الطلق تحت صدغه الايسر فان استطعت ايضاح كيف يمكن لرجل في يده اليمنى مسدس أن يضرب نفسه تحت صدغه

الآن أصدق أن الحادث اتفاق

أعقب ذلك فترة سكوت . ثم عاد جولفر فقال

وفضلا عن ذلك فان جيمي المسكين لم يكن لديه مسدس

بقيت سيلين بولتنف مدة محنية الرأس خافضة البصر ثم قالت

.. أعرف يامستر جولفر أن الحادث في ظروفك وربما أنك تصدق ماقيل عني من الأمور الفظيعة فانك لابد تكرهني . كنت أحب درهيث وكان يحبني

نعم . وقد بلغ من حبه لك أن تزوج من سواك

فقالت وهي تبتسم : أتظن من اللائق أن تتلفظ بهذه الألفاظ والمستر درهيث جثة هامدة

التفت جاك جولفر في تؤدة نحو ليديا وقال

.. تقول الآنسة بولتنف انني أكرهها وهي بذلك لم تعد الواقع بل انها أمقتها الى حد لايمكن تصوره يامسز درهيث . ويوما ما . اذا قدر لي النجاة من المتربصين بي ...

فقالت سيلين : المتربصين لك ؟ لست أفهم ماتقصد

. ربما تسنى لك أن تفهمي فيما بعد . أما من حيث حبك لجيمي فانك أدرى به . انني أطالبك الآن بالادب . ولا داعي لان أخبرك أنك قد رسمت مؤامرة لايقاف الزواج وذلك لانني اتفقت مع كاهن كنيسة سانت بيتر أن يحضر الى هنا الساعة التاسعة لاني أعلم أنك وعصبة جواسيسك ستقفون على الموعد وتحاولون

منع الزواج بكل الوسائل فأ وعملت سراً في طلب صديق من الكلية ليحضر الساعة الثامنة

— لم يكن قصدي ايقاف الزواج فان ذلك قد يدفع الجيرالد الى فرار من فتاة لا تعرف عنها شيئا

ثم تقدمت نحو ليديا ومدت اليها يدها وقالت

— يؤلمني أيتها السيدة مرديث ان اقدم لك هذه المكافأة فانني لك صداقة وثناء اكثر مما صادفتك من قبل

فتأثرت ليديا جدا بهذا من اخلاصها فشدت على اليد التي امتدت اليها . ثم قالت : وانني ايضا أسفة من اجلك اكثر من اي شيء اخر ادى تحقيقه شفتا جاك . ثم التفتت في معطفها وخرجت دون ان تقول شيئا . وبعد الظهر وصلت ليديا مرديث الى مستشفى ... في سيارة الستر وفت فوجدت المسز مورجان في قلق شديد وما رأتها حتى فاضت عيناها بالدموع

— اه . ايتها الانسة انك لا تدركين الى أي حد كنت قلقة عليك . وقد جاء من يسأل عنك من ادارة الجريدة . وقد ظننت ان حادثا اصابك وسأل عنك رجال ادارة الجريدة في جميع المستشفيات

— نعم . لقد وقع لي حادث اصابني . ولكن لا تخشي بأسا واعلمي ان اسمي الان مرديث

— مرديث ؟ كيف ذلك وانا اعرف اباك

— ذلك لاني تزوجت . لقد قلت أمس انني سأتزوج زواجا

ووالديا ولكني لا يمكن مهما بلغ خيالك أن تتصوري كيف تزوجت .
أنني ذاهبة إلى فراشي وإن جاء أحد يسأل عني فأخبريه أنني لست
هنا . أما زوجي بوبدت المستر لوفيل فأخبريه أنني صعدت متأخرة
ومتعبة وسأذهب غدا لأوضح له الأمر

فقالت المرأة في تلعثم : ولكن يا آنسة زوجك . . .

— لقد مات زوجي . وإن جاء ذلك الصاحي فأخبريه أنني في
انتظار عشرين ألفا من الجنيهات في صباح الغد

ولما قالت ذلك صعدت إلى غرفتها وتركت المرأة مبهوتة

الفصل السادس

قام البوليس بتفتيش دقيق جدا في منزل المستر رنت طيلة
ذلك الصباح ولم يتقدم جانث ولا رنت لمساعدة البوليس وكذلك
لم تطلب منهما المساعدة . وقبيل طعام الظهيرة جاء المفتش كوهد
لمقابلتهما في المكتبة ثم قال

— لقد فتشنا المنزل يا مستر رنت وعرفنا المكان الذي كان
القتيل مختبئا فيه

فقال المستر رنت : أصحيح هذا

— نعم . هذا الكوخ الذي تستخدمونه مخزنا للآلات الصغيرة
يمكن رفع أرضيته بأكملها بالضغط على زر صغير
أظن أن الساكن السابق كان يستعمل هذا المكان مخزنا للخمور :

أما نحن فلا نعرف خبرا في الجراح لأننا لا نأمر بها وحتى الآن لم أجد حاجة إليها

— هذا هو المكان الذي كان مختبئا فيه . وجدنا فيه فراشه ووسادته . ولا بد أنه كان ينتظر الفرصة كانتظار الأسد [illegible]

لم يقل أحد من الحاضرين شيئا فعاد المفتش يقول

— هناك شيء آخر وهو أني أعتقد أن مرديث لم ينتحر لأننا وجدنا أثر أقدام جديدة تؤدي إلى الجهة الخلفية من الكوخ

فقال جاك : وهل هي أقدام صغيرة أم كبيرة

— بل هي أقدام كبيرة وكعب الحذاء من المطاط وقد تتبعنا الأثر إلى الباب الخلفي من المنزل وقد فتح هذا الباب حديثا . ولعل مرديث هو الذي فتحه هذه ليلته إلى هنا . في الحق أن هذه القضية كثيرة الغموض

— وماذا رأيك بشأن المسدس

— هو مسدس جديد من صنع بلجيكا وأظن أنه لا يمكن الوصول به إلى شيء بواسطته لأن المسدسات البلجيكية تكاد تباع في كل مكان في أوستند أو بروكسل

فقال جاك في تفكر : إنه في الواقع نفس النوع الذي استعمل في قتل بلفورد

— هذا صحيح ولكن لم يثبت أن ذلك المسدس كان ملكا لمرديث

— كلا . الذي ثبت هو أنه رأى الجثة والمسدس إلى جانبها

فتناوله . وقد اطلق المسدس عندما فتحت باب المستر برجراند .
ثم خرجت الآنسة برجراند التي سمعت صوته فوجدته واقفاً
والمسدس بيده والجثة ملقاة في الارض

فقال المفتش : لا شأن لي بتلك القضية ولكني رأيت المسدس
وهو شبيه بهذا الذي استعمل في هذه الجناية . سأطلع الرئيس
على نتيجة ابحاثي واخبره بما رأيته . واظن انك ستؤدي الشهادة
في التحقيق .

ولما ذهب الشرطي قال جاك

— والآن يارنت ماذا تريد . هل رأيتنا أمسكنا ان نحنث باليمين
لتنجو .

— لا داعي للحنث . وعلى ذكر ذلك . أين كان المستر برجراند
ليلة مقتل بالدوين .

ثم عادت الآنسة برجراند صوابها صعدت الى المنزل وايقظت
اباها الذي كان نائماً في فراشه بالرغم من ان الوقت كان مبكراً .
ولما جاء الشرطي . اي بالحرى رجل سكوتلنديارد الذي جاء بعد
مقتل . وجده في ثياب النوم

فقال رنت : وفي وجهه علامات الرعب على ما اظن

وبعد فترة من السكوت قال جاك : اسمع يارنت . انني أكثر
انزعاجاً وقلقاً من اجل هذه الفتاة مما أنا منزعج من اجلنا نحن

— أية فتاة تعني

— المسيو مرديث . لم يكن يتهددها أي خطر طالما مرديث في الوجود . أما الآن فالخطر عليها شديد . لاسيما وهي لا أقارب لها ولا أصدقاء

فقال رفنت : نعم لقد نسيت ذلك . ومما يزيد الأمر تعقيداً الوصية التي كتبها مرديث هذا الصباح قبل زواجه

فقال جاك مدهوشاً : وهل كتب مرديث وصية

— نعم . ولعلك تذكر أنه اختلى بي هنا نصف ساعة كتبت فيها الوصية وشهد عليها بوانش رئيس الخدم وزوجتي

— ولمن ترك أمواله ؟

— تركها لزوجته وحدها . كان مصمماً على حرمان آل برجرلند من الميراث إلى حد أنه أوصى بجميع ثروته لفتاة لم يرها قبل وآل برجرلند يرثونها بعد موتها . هل تدرك ذلك يا رفنت فيما يليها !

— نعم لقد فكرت في ذلك

جلس جاك يفكر مدة طويلة ولم يحاول رفنت أن يقطع عليه تفكيره . وبعد ذلك انفرجت أسارير وجهه وابتسم قائلاً

— جاجز !

فقال شريكه في حيرة : جاجز ؟

— نعم . لابد لنا من مقابلة الحيلة بالحيلة وجاجز هو الشخص الذي يقوم بذلك .

الفصل السابع

وصلت جاني برجرلند الى منزلها بعد ربع على الساعة التاسعة ولم تقرع الباب بل فتحته بمفتاح خاص وقصدت الى غرفة المائدة مباشرة حيث كان أبوها يتناول فطوره والى جانبه جريدة يقرأها

وأبوها هو ذلك الرجل الاسمر الذي كان معها في الملعب ورأته ليديا هناك فقال : لقد خرجت مبكرة

لم تجب . بل خلعت معطفها وقبعتها وألقت بهما على احد الكراسي ثم جلست قبالة ابيها تحدق فيه النظر وقد اسندت ذقنها على يديها

قال الرجل : اذن ياعزيزتي . قد انتحر المسكين مورديث . ان ان هذا لمحزن

فسألته في سكون : كيف حصل ذلك

ـ أظن أنه حين رآك أسرع الى مخبئه . وكان .. بعض الناس .. الذين يهتمون بأمره قد عرفوا هذا المخبأ أثناء الليل . ولما رآهم الى جانبه الكوخ ارتكب هذا العمل الطائش

ـ وهل كنت على استعداد له ؟

فضحك وقال . قضية انتحار لاشك فيه ياعزيزتي

ـ أطلق الرصاص على صدغه الايسر ووجد المسدس في يده اليمنى

انزعج المستر برجرانت وقال

ـ من ذا الذي لحظ ذلك

ـ ذلك الشاب المحامي الجميل الصورة . جلوفر

ـ وهل لحظ البوليس ذلك

ـ أظن أنهم لحظوا ذلك حيث لفت جلوفر نظرهم الى ذلك

فخلع المستر برجرانت نظارته وأخذ يمسحها . ثم قال :

لقد وقع الأمر بسرعة اذ كان من اللازم أن أخترق الحديقة وأسرع فأنضم الى رجال البوليس . فلما عدت وجدت ان الطلق الناري قد لفت نظرهم . ومع ذلك لا يستطيع أحد أن يعرف أنني كنت في الحديقة . أما اشتراكي في القبض على مجرم هارب فلن يصل الى الجرائد

فقالت الفتاة : قد يكون مستحيلا اخفاء الانتحار الى الجرائد وان كنت لا أظن أن البوليس سيتم على الشخص الذي أبلغهم أن الهارب في دلوتش جرانج .

ـ لا يستطيع المرء أن يتذكر كل شيء .

ثم قام من مقعده وأغلق الباب جيداً ثم فتح قمطراً تناول منه مسدساً صغيراً ثم فتح خزانته ليتأكد أنه غير محشو ثم وقف أمام مرآة وأمسك المسدس باليد اليمنى وحاول أن يضع فوهته على صدغه الأيسر فلم ينجح . ثم حاول طريقة أخرى وذلك أنه وضع ابهامه على الزناد وكفه على مؤخر المسدس فنجح بعض

فاتجهت نحوه نظرة . فقال

ـ نعم حتى في الطريقة . كأني ممسك بالمضرب فعلا .

كانت الفتاة تراقبه في صمت كأنه كان يحاول اختراع طريقة جديدة لضرب كرة التنس . ثم عاد القهقرى برجليه الى المائدة ثم قال

ـ ان جميع الناس ذاهبون الى (كان) هذا العام ولكن أظن انني سأبقى في (مونت كارلو) . ففي مونت كارلو متعة وراحة لاسيما اذا حصل الانسان مثلا (فيلا) على أحد التلال البعيدة عن خط السكة الحديدية . وقد أخبرت مونرو أمس أني معجب بالسيارة الجديدة ولقد سافرنا معا في بولونيا وهو يقول أن السيارة فخمة بها جميع ...

فقاطعته الفتاة قائلة : لقد تزوج مونرو

لو كانت القت قنبلة عليه لما احدثت كل ما احدثته من . فنظر اليها فاغر الفم مشدوها ثم قال :

ـ تزوج ؟ هذا كذب . يالك من وحش كاذب . لا يمكن أن يكون قد تزوج لقد قابلته بعد الثامنة ببضع دقائق ولم يأت الكاهن الا الساعة التاسعة . انني أدق عنقك ان كنت تحاولين ازعاجي

ـ لقد تزوج الساعة الثامنة وقام بالعقد الذي جاء من أكسفورد وتعشى الليل بالمنزل . وهنا تغضب وترغي وتزبد لقد رأيت العروس والكاهن . فتحول من الغضب الى القنوط الشديد واضطربت

يداه ويعض حلقه

ثم قال : وماذا نحن فاعلون ياعزيزتي جان . ياالهي ماذا تفعل ؟

فقامت من مكانها وقصدت إلى دولاب وملأت له كأسا كبيرة من الخمر وأتت بها اليه دون كلمة واحدة . كانت متعودة أن ترى هذه الانفعالات فلم تدهش أو تتقزز . كانت هذه المخلوقة الملائكية هي رئيسة هذه العصابة والرأس المدبر لها . فلا أعصاب لها ولا عواطف . كانت كالجراح الذي لا يسمح لعاطفة الرأفة بالدخول معه في غرفة العمليات . والفرق بينها وبين الجراح أنها لا ترى نفسها مرغمة على مراعاة الواجبات الانسانية فهي تستعمل مشرطها للقضاء على الانسان أما الجراح فلخير الانسان . وأخيرا قالت : عليك أن تؤجل رحلتك إلى مونت كارلو

فقال : لقد ضاع كل شيء الآن . نعم كل شيء

- ولكن الفتاة لا أقارب لها فنحن الورثة الشرعيون اذا ماتت

فوضع الكأس على الطاولة ونظر اليها وقد عاد إلى حالته الطبيعية وقال

- حقا ياعزيزتي انك مدهشة . كم أنا غبي . والآن ماذا تقترحين ؟

- افتح الباب . أريد أن أنادي الخادمة

فقام وفتح الباب وضغطت الفتاة زرا فجاءت الخادمة

فقالت جان : أريد ياماري أن تضعي خاتمي الزمردي الصغير وقلادة اللؤلؤ والدبوس الماس في صندوق وتحيط بكل منها

غلاف من القطن اللين

خرجت المرأة وهي تقول : نعم ياسيدتي

... والآن ماذا اعتزمت أن تفعلي ياجان

- أريد أن أعيدها إلى المسز مرديث فهي هدايا قدمها إلى ولدي خطيبي وأشعر بعد هذا الحادث المريع انني لا أطيق رؤيتها

... انه لم يهدك هذه الاشياء . بل أهداك السلسلة البلاتين فقط

- أعلم أنه لم يهدني اياها ولكني لن أفقدها الآن المسز مرديث ستعيدها إلي وهذا سيتيح لي الفرصة التي أرغب في اقتناصها

ثم صعدت بعد قليل الى الطابق الاول وكتبت خطابا

« عزيزتي المسز مرديث

أرسل اليك هذه الهدايا الصغيرة التي أهداني اياها جيمس حين كنا سعداء . وهي كل مابقي لي من ذكراه . ولا بد أنك كامرأة تدركين مانبعثه رؤية هذه الاشياء في نفسي من الاسى وان كانت من أسباب سروري . فليتني أستطيع نسيان الذكريات الماضية كما أستطيع رد هذه الاشياء اليك (لانني أشعر انها في الواقع ملك لك) بل انني أعني أكثر من ذلك أن أزيل من الوجود تلك الاسباب التي جعلت المستر جاوفي عدوا لي

وكلما ذكرت الماضي رأيت انني كنت مخطئة ولكني لا أشك في انني سأنال عطفك متى وقفت على الحقيقة . لقد كنت فتاة صغيرة لا تعرف شيئا من أساليب الرجال فقابلت ما أظهره جاوفي

نحوي من الحب بالجفاء والقسوة لأني أستطعت أن من النذالة أن يتقدم رجل يدعي أنه صديق حميم لجسمي على مغازلة خطيبته. وإن كنت أعلم أن هذا يحدث أحيانا في تلقاء الفتاة المصرية بالقبول والرجل لا يغفر قط للمرأة التي تنبه إلى خطأه وترفض حبه. وهذا هو الذنب الذي لا يغفر للمرأة. ولذا لست فاهمة سبب استمرار عداوته لي. وصدقني أني أعتبر ذلك مستقبلا سعيدا »

وبعد أن أغلقت الخطاب وكتبت عنوانه تناولت كتابا أخذت تقرأ. وبعد ساعة عاد المستر بريجز ثم نظر إلى عنوان الكتاب وقال:

.. لست أدري سببا لميلك لمثل هذا الكتاب

كان الكتاب أحد مجلدين مكتوبين باسم « سجلات الجرائم »

قالت: ألا تدري؟ من السهل إيضاح ذلك. اجلس قليلا

.. ليس فيه إلا أخبار المجرمين السفاكين وأقوالهم قبل موتهم والذهاب بهم إلى (تيبورن) مكان تنفيذ الحكم بالإعدام وغير ذلك

ابتسمت الفتاة وهي تنظر إلى الكتاب وكانت هوامشه ملأى بالملاحظات التي كتبتها بيدها. ثم قالت

.. إنه بحث عقلي لذيذ. وقد كتبت في كل حالة كيف كان يمكن للمجرم أن ينجو من المحاكمة على هامش الكتاب. ولكن أولئك المجرمين كانوا أغبياء وليس للبوليس فضل في القبض عليهم

فقال المستر بريجز: وقد يقبض على مهرة المجرمين أحيانا

.. كلا. إن ذلك لا يحدث قط. ففي انجلترا وفرنسا وأمريكا

كثير من المجرمين يخدعون الناس لأن البوليس يجهل جرائمهم .
ثم فتحت الكتاب وقالت

— هاهي قضية تل الذي سمم أحد دائنيه . كل الناس يعلمون أنه اشترى المادة السامة وكلهم يعرفون أنه مدين للرجل . كيف يؤمل في النجاة .

وهاهي قضية جولفيلي الذي قتل زوجته ودفنها في القبو . ثم لفت الأنظار اليه بهربه . وهاهو كردني الذي قتل أخت زوجته للحصول على مبلغ التأمين على حياتها . اشترى السم في رابعة النهار ووجد في جيبه زجاجة منه . كل هؤلاء يستحقون الشنق

— أرجو ألا تتكلمي عن الشنق . يالك من قاسية ياجاني . والله ...

فقالت مبتسمة : اني مالك . وعندي ما يثبت ذلك من مقتطفات الجرائد . كتبت الديلي ريكوردر نصف عمود عن هيئتي وأنا في موقف الشاهدة في قضية جيم

ثم نظر إلى المنضدة فرأى الخطاب فتناوله وقال :

— أرى أنك كتبت للصحيفة

فأحنت رأسها موافقة فعاد يقول

— أرجو ألا يكون في الأمر لعبة ...

— أيها الوالد العزيز . أبعد ماذكرته عن المجرم العادي تتصور اني أرتكب أمراً سخيفا

الفصل التاسع

قال جاك جلوفر : والآن ماذا اقترحت أن تفعلي يامسز بردت
كان جاك قد مضى معظم الصباح مع الوارثة الجديدة يسرد عليها قائمة طويلة من أنواع الممتلكات التي في حوزتها كالسندات والضياع وريع الأراضي وما أشبه ذلك مما لا تفهمه وقد أصغت اليه وهي لا تتكلم .

ـ لست أدري ماذا أفعل . ليس عندي أية فكرة . ان الأمر غريب جداً يامستر جلوفر . هل أفهم مما تقول ان كل ما ذكرته لي

ـ بحكم الوصية هو ملك لك ونستطيع أن نقدم لك أي مبلغ تطلبينه ولكن يجب أولا اثبات الوصية بالطرق الرسمية ومتى تم ذلك ودفعنا رسوم الوفاة وضريبة التركات الباهظة صار لك الحق في التصرف في ثروتك كما تشائين . وفي الواقع يمكنك التصرف في أموالك من الآن . وعلى أية حال لا يمكنك البقاء في شارع برنكسوم وقد استأجرت لك مسكناً مفروشاً تركه صاحبه وهو من عملائنا للذهاب الى القارة (أوربا) وأجرته ضئيلة تبلغ العشرين جنيها في الأسبوع .

ـ عشرون جنيها في الأسبوع ! يا الهي لا أستطيع ..

ثم أدركت أنها تستطيع الآن . فما هي عشرون جنيها في الأسبوع بالنسبة اليها .

ثم قالت : أظن ان الأولى لي أن انتقل الآن . ان المستر مورجان سيترك هذا المنزل وربما ترضين بالذهاب معي كمديرة لمنزلي

ـ هذا بديع . يجب أن يكون لك خادمة غرفة أيضا وعليك اعداد مكان يأوي اليه جاجر ليلا

ـ جاجر ! ومن هو جاجر هذا !

ـ جاجر يا آنسة . أوه عفوا ـ يامسز مرديث . انني في قلق شديد عليك وأود أن أبعث في صحبتك شخصا تعتمدين عليه . ولعلك تظنين أن قلقي لا أصل له . ولكن ماحدث لك الاسبوع الماضي يبين أن كل شيء ممكن

ـ ولكن لا أظن أنك تقصد انني معرضة لخطر ما . وممن ؟

فقال : من كثير من الناس

ـ أمن الآنسة برجراند التعسة ؟

فضاقت عيناه وقال : الآنسة برجراند التعسة . أنها حقا أتعس مما كانت تتوقع

ـ هراء . لماذا تواصل يامستر جاوفر انتقامك منها . أتظن ذلك من مبادىء الاستقامة والشرف . ان الأمر لا يبدو أنها جرحت كبرياءك

ـ جرحت كبريائي ؟ أتقصدين انني حانق عليها

فأحنت رأسها موافقة

ـ ولكن لماذا أحنق عليها

— أنت تعرف السبب أكثر مني

فخطر له خاطر فقال : هل عرضت على الآنسة برجرانت صورة

— أنت تعرف ذلك أكثر مني

وقالت ليديا بابتسامة السخرية : ان لك ذاكرة قوية

— ان قوة ذاكرتي ليست شيئا الى جانب قوة اختراع الآنسة برجرانت . ألا يخطر لك أيتها السيدة بريث انني لو كنت قاتلها لما رأيتني هنا الآن .

— ماذا تقصد بذلك ؟

— أقصد انني كنت وقعت ضحية بدلا من بلفورد . نعم كنت أنا الذي يستدعونه بحيلة من النادي ويقف أمام باب المنزل ثم يرميه المستر برجرانت بالرصاص من نافذة غرفة الجلوس

نظرت اليه الفتاة في دهشة وقالت

— ما أسخف هذه التهمة . أتريد أن تقول ان هذه الفتاة اشتركت في جريمة قتل

— لا أقول انها اشتركت فيها فقط بل وضعت خطتها

ولكن المسدس وجد بجانب الجثة

— صحيح : وبين نافذة غرفة الجلوس وجثة بلفورد تسعة أقدام فيمكن القاء المسدس فيسقط الى جانبه . وكان بلفورد ينتظر في ذلك المكان بناء على تعليمات الآنسة برجرانت فقد عرفنا ان بعضهم تكلم معه بالتليفون وهو في النادي وبالبحث علمنا ان المكالمة

كان من بيت برجوانه بشارع ركلي . وعامل التليفون يؤكد أن المتكلم كان امرأة . ولكن لم يصل ذلك إلى علمنا إلا بعد المحاكمة وكان مرديث المسكين في السجن عندئذ . وأعطيت الإشارة وهو يفتح الباب ليخرج . فأسرع عندما سمع الطلق الناري فوجد الجثة أما أنه تناول المسدس أم لم يتناوله فليس لنا علم بذلك . وحاولت برجوانه تتهم أن المسدس كان في يده . ولكن جاني برجوانه بكل أسف من أكبر الكاذبات

— إنك لا تعلم بماذا تقول . إنها تهمة عظيمة ضده . فماذا يدحض وجودها أية تهمة من هذا القبيل

— إن وجهها نشر رأسمالها . أرجو عفواً لخشونتي فالواقع أن مجرد ذكر جاني برجوانه يثير غيظي . والآن أتقبلين حاجز

— ومن هو حاجز هذا

— هو أحد رجال الجيش المتقاعدين . وهو واسع الحيلة قوي البنية بالرغم من كبر سنه

فقالت في ارتياح : هو كبير السن إذن

— نعم هو كبير السن وقد أصيب ساعده في يده اليمنى برصاصة في إحدى قدميه .

فقالت ضاحكة : هذا وصف غريب

— نعم . ليس فيه شيء جذاب ولكنه لن يتعبك أنت أو خادمك . فأعطه غرفة يجلس فيها وقطعة من الخبز والجبن وكأسا

من الجثة . فلا تسمعين له صوتا

كانت الفتاة (ليديا) لا ترى ما يدعو لتعيين حارس عليها .
ولكن ما دام جلوفر يلح عليها فلا مانع من قبول حاجز هذا .
فقالت

— ومتى يأتي ؟

— نحو الساعة العاشرة كل مساء ويبرح المسكن الساعة السابعة
صباحا ولن ترى وجهه الا اذا شئت

— ولكن كيف عرفت هذا الرجل

— انني أعرف جميع الناس . لا تنسى انني محام وأقابل أنواعا
كثيرة من الناس . ثم جمع أوراقه ووضعها في محفظته وقال

— وماذا انتويت أن تفعلي اليوم ؟

استاءت الفتاة من هذه الوصاية التي يفرضها لنفسه عليها
ولكنها لم تنس فضله عليها . فهو قد أخرجها من قضية مرديث
فلم تستدع للتحقيق . وبما نجهله الفتاة أنه استطاع أيضا أن يبرئ
نفسه وشريكه مما كان يمكن أن يعزى اليهما في ذلك الحادث

— انني ذاهبة لتناول الشاي عند المسز كرله مورتيمر

— المسز كرله مورتيمر ؟ وكيف عرفت هذه السيدة

— حقا يامستر جلوفر أنك تتجاوز حدك . لقد جاءت لزيارتي
بعد ذلك الحادث المروع بيومين أو ثلاثة . وهي من أصدقاء
عائلة مرديث

فقال جاك فورد : انها لم تعرف مرديث الا عرضا وليست صديقة لما ألمه ولكنها مع ذلك صديقة جاك برجولند

— جاك برجولند ؟ ألا يمكن أن تنساها . لا يليق ذلك بمحام مثلك . لقد كانت صديقة لمرديث فقد أتتني بصورة له حين كان طالبا في ايتون

— أتتها بها جاك برجولند

— اتركك الآن لانطلاق وعندي ما يشغلني

ووقف عند الباب وهو خارج وقال

— لا تنسى الانتقال الى مسكن كافندش غدا وسأرسل لك المفتاح ومتى انتقلت ستجدني مستعدا للقيام براحتك وهو قليل الكلام ..

— لا أظن أنك تعطين ذلك المسكين فرصة الكلام

الفصل التاسع

كانت المسز كولن مونتيمر تمثل تلك الطبقة التي بين الطبقة الراقية والتي تليها بحيث تظن كل طبقة منها أنها من الطبقة الاخرى وكان لها منزل صغير تقيم به بعض الحفلات ولا يعرف أحد المورد الذي يمكن لهذه السيدة أرملة أحد الضباط في الجيش الهندي . كانت تنفق كثيرا ولها سيارة خاصة وكانت تقيم في فندق في موسم الاقامة وتختفي من لندن في الاوقات المناسبة للاختفاء .

وقد دهشت ليديا حين زارتها هذه السيدة المترفة وصدقت بغير

تردد حكاية صداقتها مع جيمس مرديث وقبلت دعوة لزيارتها في سمرست . وكان المستر رانت قد سلمها ألف جنيه في اليوم التالي لزواجها وأخبرها أنه سيتولى شئونها ويدفع ديونها فتقبلت ذلك بالارتياح وأحست أن حملا ثقيلا قد أزيح عن عاتقها .

ارتدت ليديا ثوبا من ثيابها الجديدة وذهبت في تلك الزيارة وقد توقعت أن ترى جمعا كبيرا من الأثرياء في منزل المسز كول مورتيمر في هيدبارك كرسنت فدهشت حين رأت أربعة فقط في غرفة الجلوس .

وكانت المسز كول مورتيمر قصيرة القامة تحت الاربعين فتلقت زائرتها بالابتهاج وتقدمت نحوها ممدودة اليدين وقالت

— يسرني يا عزيزتي أن استطعت المجيء . أظنك تعرفين الانسه برجرلند والمستر برجرلند

نظرت ليديا الى الرجل القصير القامة وعرفت فيه ذلك الشخص الذي كان بالملعب الليلة السابقة لزواجها

وجاءت المسز كول مورتيمر تقول : أما المستر ماركس صديقي فلم تريه من قبل . انحنت ليديا تحية لشاب بلغ الثلاثين أنيق الثياب وقد رأت فيه شابا جميلا ولكن اناقته الزائدة جعلته غير مقبول في نظرها .

لم تكن ليديا تتوقع أن ترى الانسه برجرلند وأباها . وفي الحال عاد الى ذهنها ما أبداه جاك جلوفر من الشكوك . فأحست

بأنها غير مسرورة من هذه الزيارة . ويظهر أن جاك رجبرلند قد قرأت أفكارها إذ قالت .. يظهر أن المسز مرديث لم تتوقع أن ترانا هنا يامرجريت . ألم تخبرها أننا من خير الأصدقاء

فقالت المسز كرل مورتيمر (مرجريت) : بكل تأكيد ياعزيزتي . أن صداقتي لابن خالك العزيز ووالده العزيز تجعلني في اتصال بكل العائلة فجال بذهن ليديا أن هذا صحيح . كيف نسيت كما نسي جاك جلوفر أن عائلة رجبرلند وعائلة مرديث من الأقارب . وبعد قليل وجدت نفسها تتحدث في صحبة مع جاك وأخذت تتفحص وجهها من جديد وقد أدى هذا التفحص الى تعزيز الرأي الذي كونته عنها من قبل فابتسمت في سرها حين فكرت في تحذير جلوفر لها .

قالت جاك : ماذا تشعرين الآن نحو صديقة والدة الفتى

فقالت ليديا : لم أدرك ذلك بعد

ـ أظن أن عليك أن تتفق مع المحامين من ثم ؟ أوه . لابد أنهم ورطوا جلوفر . فهم وكلاء جيمس . أنني أكره المحامين لأنهم يظنون أن من واجبهم أن يرشدوا الإنسان ويعدوا له خطط حياته وأعماله وهم يحصلون كثيراً من العمولة والأتعاب التي يتقاضونها وإن كنت أعتقد أن جاك لايبالي بذلك فهو شاب ظريف ولن تجدي صديقا مثله .

صرخت ليديا من كرم الفتاة نحو الرجل الذي يفتري عليها

فقالت : انه جم الاخلاص لي وان كان كثير الشكوك .

— هل حذرك مني . هل أخبرك أي شيطان رجيم أنا . يخيل الي أحيانا ان جاك — لا أقول مجنون — غريب الاطوار . ومقته شديد . فهو يمقت هوغيت ولست أدري سببا لذلك

فقالت ليديا : ولكنه لا يكرهني .

— كلا . لا أظن أنه يكرهك ولست أتصور كيف يمكن أن يكرهك أي انسان ياليديا . أتسمحين لي بأن أدعوك بهذا الاسم

فقالت ليديا في حرارة أود من صميم فؤادي أن تفعلي

فعادت جان تقول : نعم لا أتصور أن يكرهك مخلوق وجاك طبعا لا يكرهك لانك جميلة ولانك غنية وجذابة أيضا ولست ألومه ويخيل الي أن تحذيره اياك مني ومن غيري من الاصدقاء تجعل لديه أسبابا لزيارتك كل يوم ليكون حارسا عليك

فهزت ليديا رأسها وقالت : لقد تخلى عن ذلك لسواه لانه عين المستر جاجز حارسا علي

— ومن هو المستر جاجز

— هو أحد رجال الجيش القدماء المتقاعدين . وهو مصاب في يده اليمنى ورجله اليسرى ويحب البيرة والجبن

— جاجز . لست أدري أين سمعت بهذا الاسم . هل هو بوليس سري

— كلا . لا أظن ذلك . وقد رأى جلوفر أنه لابد لي ممن يقيم في مسكني فوقع الاختيار عليه

وبعد ذلك جاء ماركس جنكينز فوجدته ليديا ثقيلا وكان المستر برجرلند مقبولا أكثر منه لأنه يعين حكاياته لا ينضب

قال الغلام قد أرتني مدولة حين خرجت مع المستر برجرلند وابنته فوقفت تتحدث مع الفتاة أمام الباب بينما كان المستر برجرلند يشغل سيارة بشغل خاص لا بالثقاب . وكان هيد بارك كرسنت خاليا لا يرى فيه أحد سوى رجل كان على مايظهر يربط حذاءه الى جانب سور الحديقة . ثم ساروا قليلا على الرصيف ووقف المستر برجرلند يبحث عن سيارته وقال

— أود أن أذهب بك الى منزلك وقد وعد السائق أن يكون هنا الساعة الرابعة . ان هؤلاء الناس لا يمكن الثقة بهم

ظهرت أنوار سيارة قادمة من آخر الشارع فظنت ليديا أنها سيارة المستر برجرلند وشرعت تتنحى لأنها تود الذهاب الى المنزل منفردة وكانت السيارة تجري نحوها بسرعة هائلة فأخذت ترقبها وهي قادمة بهذه السرعة ولم تلاحظ أن المستر برجرلند وابنته قد ابتعدا وتركاها واقفة وحدها على الرصيف وفجأة انعطفت السيارة وصعدت فوق الرصيف وهجمت نحوها وأحست أن لا شيء في الوجود يستطيع انقاذها فوقفت وقد قيدها الرعب تنتظر الموت . واذا بيد قوية قد حملتها من وسطها وألقتها بجانب سور الحديقة ومرت السيارة كالبرق الخاطف وبين رفرفها وليديا مالا يزيد على بوصة . ثم وقفت السيارة بحركة فجائية ورأت الفتاة

المقنعة الوجه المستر برجرلند وابنته يجريان نحوها

وقال المستر برجرلند بصوت مضطرب : انني ما كنت أغفر لنفسي لو كان حدث لك شيء . أظن ان السائق ...

لم تستطع أن تتكلم فأحنت رأسها ثم تذكرت منقذها فالتفتت نحوه واذا به رجل مسن قد جعلت لحيته البيضاء وحواجبه الكثة هيئته كهيئة الصقر . وكانت يده اليمنى في جيبه . أمسك قبعته بيده اليسرى ثم قال

- عفوا ياسيدتي . اسمي جاجز وقد جئت للقيام بواجبي

الفصل الرابع

أصغى جاك ستلوفر لرواية الفتاة في رزانة . وكان قد جاء في صباح اليوم التالي ليوقع له على بعض الأوراق فقصت عليه القصة في خجل . وقالت : لاشك أنه حادث وقع بالصدفة وفي الواقع كاد المستر برجرلند وابنته يقعان تحت السيارة ولكنك لا تدرك لأي حد أنا شاكرة لوجود جاجز هناك

فقال جاك : وأين هو الآن

- لست أدري . فقد ذهب دون أن يقول كلمة ولم أره بعد ذلك وان كنت لمحت شبحه وأنا داخلة الى هذا المنزل ليلة الأمس كيف اتفق أن يكون في ذلك المكان ؟

- لقد أخبرته ألا يجعلك تبرحين نظره من غروب الشمس الى

صديقها

- اذن أنت تظن انني في مأمن أثناء النهار

فأجابني بابتسامة موافقة

- لست أدري ان كنت أضحك منك أم أغضب . لاشك أن الحادث وقع اتفاقا

اني أخالفك في هذا الرأي . فهل رأيت السائق

فقالت في تعجب : كلا . لم أفكر في النظر اليه

. لو كنت ألقيت النظر اليه لرأيت صديقا قديما هو ذلك السائق الذي اختطفك من ملعب ارفنج تلك الليلة

لم يكن من الهين على ليديا أن تحلل شعورها . كانت تحس أن جاك جالوفر مخطيء . وكانت واثقة كل الثقة أن أوهامه على غير أساس ولكنها لم تشك في اخلاصه . وتذكرت ماقالته جان عن غرابة أطواره ولكنها لم تجد فيه شيئا من غرابة الاطوار . أما قولها انه يرمي الى الزواج منها للانتفاع بثروتها فاعتقدت انه هراء

قالت : على أية حال أحب المستر جابز

- أرى من نبرات صوتك انك تحبينه أكثر مني . انه شيخ لابأس به

- انه شيخ قوي . لقد حملني كأني ريشة . لست أدري كيف نجوت . أظن أن الفرامل اختلت فوقع الحادث

عجيب . ثم حادث صحيحة قبل وصول السيارة الى المستر

برجراند وابنته الملائكية .

فقالت في يأس : لا أمل في اصلاحكم . هذه الاشياء كانت تحدث في العصور المظلمة . ان الرجال والنساء لا يقتلون بعضهم بعضا في القرن العشرين

— من قال لك ذلك . ان الطبيعة البشرية لم تتغير منذ ألفين من السنين وما زالت غريزة الميل للقتل على شدتها والا لامتنعت الحروب . فاذا استطاع رجل أو امرأة أن يرتكب جريمة القتل مرة فليس هنالك ما يمنع ذلك الرجل أو تلك المرأة من ارتكاب الجريمة مائة مرة . ففي انجلترا وفرنسا وأمريكا يعثرون على خمسين جريمة قتل كل عام وضعف هذا العدد من الجرائم لا يمكن كشفه . وحسن صورة المجرم لا يجعل الجريمة مستحيلة

وفي يوم الثلاثاء من ذلك الاسبوع انتقلت ليديا الى مسكنها الجديد بعد أن كانفدش ووعدت المسز موريان أن تأتي بعد أسبوع بعد أن تسوي شئونها . وقد أتت ليديا بخادمتين من أحد مكاتب التخديم على أن تبيت احداهما في المنزل وكان المسكن محدود السعة فتحيرت ليديا لأنها وعدت باعطاء غرفة للمستر جاك فانه كان يسهر طول الليل (كما ينتظر) وينام نهارا فما المانع من أن يقيم في المطبخ وقد عرضت الفكرة على جاك فرفضها قائلا

— أنت لا تودين أن يعرف الخدم أن عليك حارسا

فسألته في سخرية : وماذا تتصور أن يخطر ببال الخدم منه ؟

كيف أقبل رجلا في مسكني دون أن أبدي اسباب وجوده

ـ يمكنك أن تقولي انه ينظف الأحذية

ـ ان تنظيف الأحذية لا يشغله طول الليل . وان كنت شاكرة له ولا أريد أن يقوم بأي عمل

جاء جاجز تلك الليلة الساعة التاسعة ونصف فقامت ليديا التي لم تعود بعد على مظاهر الغنى لاستقباله وقالت

ـ لم تسنح لي الفرصة ذلك المساء لأشكرك ياسيد جاجز . لقد أنقذت حياتي .

ـ هذا واجبي ياسيدتي

ظنت الفتاة أنه ينظر الى الجهة الأخرى والواقع أنه (أحول)

فقالت في سرعة : سأذهب بك الى غرفتك

ثم سارت تتقدمه وفتحت باب غرفة صغيرة أعدت له وأشعلت النور الكهربائي

فقال : هذا الضوء كثير علي ياسيدتي . أحب أن اجلس في في الظلام وأمضي

ـ ولكن لابد لك من الضوء فقد ترغب في القراءة

ـ أجهل القراءة والكتابة ياسيدتي ولست أحس بنقص من جراء ذلك .

فأطفأت النور في تردد وقالت : ولكن كيف ترى طعامك

ـ أتحسسه بيدي لأحمل ها من جوعي . سأجلس هنا

وأفكر طويلا

ان كانت في أول الامر متضايقة فقد اغتاظت الان . ورأتني بعضها مجرد النظر الى ذلك الباب الذي يجلس خلفه جاجز وراءه يفكر . وبقيت مدة طويلة تلك الليلة لا أستطيع الى النوم سبيلا لأنه جالس في الظلام يفكر (على ما يقول) فحرصت على وضع حد لهذه الحالة الكريهة الى نفسها .

استيقظت في الصباح حين أتت الخادمة بفنجان من الشاي وعلمت ان جاجز ذهب ، والخادمة أيضا كان لديها ما تقوله عن جاجز فقالت في مبالغة أنها لم تذق النوم

لا بد اذن من وضع حد لذلك . فذهبت عصر ذلك اليوم الى مكتب جاوفر وأنبأته بذلك فاصغى اليها الى أن انتهت ثم قال

- يسوؤني أن وجوده يقلقك ، لكنك ستتعودين وجوده مع الزمن فلا تكوني شاكرة إذا سمحت بابقائه شهرا فذلك يرفع عن عاتق حملا ثقيلا من الهم والقلق .

كانت في أول الامر مصممة على انتقاد أبيها لكنها خضعت لارادته

أما لوسي الخادمة الجديدة فلم يكن من السهل اقناعها إذ قالت

- لا أحسب ذلك يا سيدتي . فهو أشبه بالمتشردين وسنذبح في فراشنا

- كلا . يا لوسي فلا خطر من المستر جاجز وهو في الواقع نافع لي

فذعرت الفتاة واحست ليديا أنها ستفقد خادمتها ولم تكن في ذلك مخطئة

جاء جاميز العجوز تلك الليلة الساعة التاسعة تصحبه فأدخلته الخادمة وسارت أمامه وفتحت له باب غرفته وقالت

— هاهى غرفتك وما أحبها الى بغير أن تكون أنت فيها

— أحقا يا آنسة ؟

وسمعت ليديا الأصوات فاقتربت منها وأصغت فاذا يقول :

— انها غرفة جميلة . أطفئى النور يا عزيزتى فانى أحب الظلام وأحب أن تكون الغرفة مظلمة كغرفة سجن هوواى الذى زججت فيه منذ سنتين بسبب سرقة من صديقك

فارقت الابتسامة وجه ليديا وسمعت الفتاة تشهق وتقول

— يالك من عجوز كذاب

— تسمين نفسك الآن لوسى جونز . أما حينما التقيت كان اسمك مارى ولسن

— أنا لا أقبل الاهانة . ولا بد لى من الخروج هذه الليلة

ولكن غنة صوتها كانت تدل على الخوف . فقال جاميز

— كلا . يا عزيزتى . لن تخرجى الا فى الصباح . واعلمى انك ان حاولت الخروج بغير علمى سيقبض عليك

فقالت الفتاة وهى تهمس فى نفسها : ليس لدى البوليس تهمة على

— تهمة التظاهر بغير الحقيقة . تدعين أنك جئت من مكتب التخديم والحقيقة غير ذلك . صديقى ان لدى ما يزج بك فى السجن سنة

تقهقرت ليديا عنه وقالت : ما هذا الذى تقوله من خادمتى

- مساء الخير ياسيدتي . انني فقط أناتش خادمتك الصغيرة

- أتقول انها لصة

فقال جاجز: لاشك في أنها لصة ياسيدتي . سلها فهي لاتستطيع الانكار .

ولكن لوسى كانت قد ذهبت الى غرفتها وأغلقت بابها في عنف وأدارت المفتاح . ولما استيقظت ليديا في الصباح وجدت المسكن خاليا الا منها . ولكنها ما كادت ترتدي ثيابها حتى سمعت قرعا على الباب ودخلت فتاة قروية نظيفة مورودة الوجه بعثت ابتسامتها الحرارة في قلب ليديا . وقالت

- هل أنت السيدة التي تحتاج لخادمة ياسيدتي

- نعم . ولكن من أرسلك

- أرسل الي تلغراف في الارياف أمس ياسيدتي

- لاباس . ادخلي

فقالت الفتاة: أليس الامر صحيحا. لقد ارسلوا الي اجرة القطار فحضرت بأول قطار

- لاباس لاباس. ولكني اعجب من يدير شئون المنزل انا أم جاجز.

الفصل الحادى عشر

قضت جان برجرلند مساء ذلك اليوم في عمل مستمر إذ لم تنقطع سلسلة الزائرين . وكان المستر برجرلند من محبي الانسانية

قائماً في ايستند (حي الطبقة السفلى في لندن) نادياً الغرض منه رفع المستوى الادبي في ليموس وابنج وبوبلار والاحياء المجاورة . وجعل رئيساً له رجلاً يدعى المستر فير كان طوال حياته في صراع مع البوليس وكان من الخاسر في هذا الصراع . وتولى ادارة النادي وهو يلعب دور النائب . أما رجال البوليس الحسنو النية فقد حذروا المستر برجراند منه باعتبار أنه سيء السلوك . فاصغى المستر برجراند اليهم وشكرهم على هذا التحذير ولكنه انبأهم ان فير قد انضم الى رفع المستوى الخلقي وسيرون انه سيكون قدوة صالحة لغيره . وبعد حين أعاد البوليس التحذير لمؤسس النادي لانه أصبح مباءة للمجرمين الخارجين من السجن والذين يستعدون للعودة اليه . فعاد المستر برجراند يشرح الغرض من النادي وهو الجمع بين ذوي الاخلاق السيئة واحسني الاخلاق ليثير في نفوس الاولين الميل الى الخير والابتعاد عن الشر ولكن البوليس لم يقتنع .

وكان من عادة جان برجراند أن تستقبل بعض أعضاء النادي المختارين في شارع بركلي حيث يتناولون الشاي معها . وكان أصدقاؤها يرون في هذا لطفاً كثيراً وجرأة ويعجبون كيف لاتخشى الاصابة بعدوى بعض الامراض المعروفة في ايستاند .

وفي هذا المساء بعد ان ذهب اخر زائريها نزلت الى الطابق الارضي حيث كانت تجتمع بهؤلاء الاعضاء فوجدت به رجلين

وقفا حين دخلت . ويظهر أن أثر النادي لم يظهر عليهما إذ كانت علائم الإجرام بادية عليهما

قالت : يسرني أنكما قد جئتما : فمن منكما المستر هوجينز

فقال أحدهما : أنا هو ياسيدتي

... والمستر تالبوت ؟

فكشر الآخر عن أنيابه . فقالت

... يسرني دائماً أن ألتقي بأعضاء النادي . لاسيما مسيئي الحظ منهم . وأظن أنك قد خرجت من السجن قريباً يامستر هوجينز

فاحمر وجهه بعض الشيء وقال . نعم ياسيدتي . ولكني بريء

... أنا واثقة أنك بريء . وحتى لو كنت مجرماً فلست ألومك إذا نظرنا الى ما تقاسونه من شظف العيش بينما أهل ألوست إند يبذرون الأموال التي يجب أن تكون من نصيب زوجاتكم وأبنائكم

فقال هوجينز : هذا صحيح :

فقالت جان : أعرف فتاة غنية جداً تعيش في رقم ٥ ميدان كافندش وهي حمقاء لأنها تنام والنوافذ مفتوحة . وهي في الطابق الأرضي . ويمكن للناس أن ينزلوا من السطح الى مسكنها عن طريق منجاة الحريق . ولديها كثير من الحلي الثمينة وأظنها تضعها تحت وسادتها وفي الغرفة دائماً بضع مئات من الجنيهات مبعثرة هنا وهناك . أليس تصرفها هذا من وسائل الإغراء لضعفاء النفوس ؟

ورفعت عينيها فرأت بريقاً في عيني الرجل فمضت تقول

.. وطالما نبهتها الى الخطر فكانت تضحك . وينام في مسكنها شيخ مسن ضعيف لا يستطيع استعمال أحد ذراعيه . وبالطبع اذا صاحت يسرع الى مساعدتها ولكن اللص الماهر لا يجعلها تصيح . أليس كذلك ؟

فنظر كل من الرجلين الى الآخر وقال أحدهما - كلا لا يجعلها تصيح . فقالت - لا سيما وطريق النجاة سهل ان كان اللصوص من الدور الذي يلي الارض اذا تركوها في حالة لا تجعلها تنم عليهم

فقال هرجينز : هذا صحيح ياسيدتي

فقالت وهي تهز كتفيها : هذا ما تقوله امرأة ثم تلوم الرجل المسكين الذي يرى الأرض تحته ثروة عظيمة اذا ذهب لاقتطافها أما أنا فلست أرضى الاقامة بهذا المنزل

فرد هرجينز وهو شارد الذهن : نعم سيدتي لا شك .

كان اخر حكم صدر ضده بالأشغال الشاقة عشر سنوات والحكم المقبل لا بد أن يكون لمدى الحياة . وكان هرجينز يعلم ذلك حق العلم .

ثم صرفت الرجلين وصعدت الى غرفتها . فقابلتها الخادمة على السلم وقالت

.. أن ماري في غرفتك ياسيدتي

فدهشت الفتاة ولم تقل شيئا ولما وصلت الى غرفتها وجدت المرأة التي رأتها تنتظرها وقالت .. انني اسفة ياسيدتي فقد طردت من

على مباح اليوم لان ذلك العجوز قد وقف على امورى . انه بوليس سرى

- ومتى يقف على امرك

- مساء الامس اذ اساءت اليه بعض الاساءة فاخبرنى عن اخى الحقيقى وقال انى زورت الشهادات التى قدمتها

فجلست جان على كرسى من الخيزران وقالت - اهو جاجوز

- نعم ياسيدتى

- ولماذا لم تحضرى توا الى هنا

- خفت ان يتبعنى احد

- لقد احسنت صنعا . (وبعد قليل) ستكونين فى باريس الاسبوع المقبل فاذهبى بقطار الليل وانتظرينا فى المنزل المعروف

ثم اعطت الفتاة شيئا من النقود وجلست بعد انصرافها نحو ساعة تتأمل فى النار المتقدة فى الموقدة . ثم قامت واسدلت الستائر الحريرية على النافذة واضاءت النور وقد شاهدت ابتسامة ملائكية على وجهها . فقد جاءها الخادم فذهبت لمقابلة ابيها فى غرفة المكتبة واطلعته على مكيدتها فامتقع وجهه وارتجف بدنه رعبا مما تعمده ابنته

الفصل الثانى عشر

كان المستر برجراند على مايظهر فرض أمره فى الحياة غير اصلاح

المجريين ، كان من علماء الاجتماع وهذا يدعوه للبحث في شئون الغير . وقد طبع كتابا في هذا الموضوع . وكان اسمه مكتوبا على غلافه واعترف كل من قرأه بفضله وسعة علمه . والواقع أنه لا فضل له الا في اختيار عنوان الكتاب أما كاتبه فلاعتبارات خاصة سمح له بان يعطي لنفسه ثمرة عقله

وفي صباح أحد الايام كان المستر بوجارتند جالسا يقرأ صحيفة في غرفة المائدة وابنته الى جانبه . وكان مدير النادي الذي في ايست اند قد أبلغه خبراً سيئا بالتليفون . فوضع الصحيفة جانبا والتفت الى الفتاة وقال :

— أتذكرين ذلك الرجل المدعو كالموت يا مزيني

— نعم . فما شأنه

— انه في المستشفى . ويظهر انه كان يحاول مع رفيقه هوبينز الدخول في أحد مساكن ميدان كافندش فزلت قدم كالموت وسقط من الطابق الرابع فكسرت ساقه واضطر هوبينز أن يحمله الى المستشفى

— كان يجب أن يدق عنقه : أظن ان البوليس يقوم الان بالتحقيق

— كلا . فلا أحد يعلم بالأمر . ولا سكان ذلك المنزل الذي كانا يحاولان الدخول فيه . ولكن مدير النادي الذي يقف على مثل هذه الاخبار اعتقد ان الأمر يهمني فابلغني اياه

— يسرني أنهما لم ينجحا . فقد كان يقلقني ما يمكن أن يظهر في التحقيق لان أمثال هوبينز لا ينفعون في عمل

وبعد قليل قالت : لقد حاولت أن أعرف مكان عمله هذا فهو يصل كل ليلة الى المنزل في تاكسي يركبه احيانا من محطة بيكر است واحيانا من يوستون واحيانا من جسر لندن

- أتظنين أنه بوليس سري

- لست أدري . فان كان بوليسا سريا فهو من الفرع الذي ليس من سكوتلانديارد وقد يكون من رجال البوليس المتقاعدين

فقال : من السهل معرفة كل شيء عنه . فرجل مثله لابد أن يكون معروفا . ثم نظر في ساعته وقال : موعدي في عيادته في الساعة الحادية عشرة . فقالت : أتفضل أن أذهب انا بدلا منك

- انت يا عزيزتي . كلا . لا أسمح بذلك واستمهلها عن الذهاب . ومع ذلك فقد شرب كأسين كبيرين من الخمر قبل ذهابه

نزل من السيارة أمام الباب الحديدي لبناء كئيب المنظر محاط به أسوار عالية وبعد أن فحص الحارس اوراقه سمح له بالدخول ثم انتظر قليلا الى أن جاء حارس اخر سار به الى كبير الأطباء وهو كهل لم يظهر عليه انه مسرور بهذه الزيارة . فقال

اسف يا مستر برجر لند اني لا استطيع الطواف معك لأني مرتبط بموعد . وسيصحبك مساعدي الدكتور كارين في انحاء المستشفى ويمدك بما تريد من المعلومات . وهذا كما تعلم مستشفى خاص واظن انك كنت تستطيع الحصول على معلومات اوفى لأجل مؤلفك من احدى المستشفيات العامة . والذين يرسلون الى مستشفى

نوردوده يكبرنوف مادة من النوع الخطر فهل انت مستعد لترى مناظر مرهبة

فأحنى برجبرلند رأسه فقد كان مستعداً بقدر ماتسمح له كأسان من الخمر وكان يعلم أن نوردوده هو المستشفى الذي يرسل إليه أشد المجانين خطراً

وكان الطبيب كاريو طبيبا للامراض العقلية صغيرالسن مغرما بعمله

فقال الطبيب باسما وهو سائق زائره : أظنك مستعدا لرؤية حالات يقف لها شعر الرأس رعباً

ثم فتح بابا من الصلب كانت قضبانه مغطاة بطبقة من المطاط واخترقا أرضا مغطاة بالحدائق ودخلا بناء من أبنية المستشفى

كانت المناظر مؤلمة تحطم القلوب ولكن قلب المستر برجرلند لم يتحطم لأنه كان من مادة غيرقابلة للكسر وبضعة ممرضين كانا واقفين في الميدان المعد لعب المجانين الأقل خطرا ، وكان المجانين يطوفون بالميدان والحراس الى جانبهم وبينهم مجنون الى جانبه حارسان قويان فسأل المستر برجرلند عنه فقال الطبيب :

ـ هذا حالته محزنة . فهو طبيب ولكنه قاتل . وقد عرف أمره قبل أن يرتكب أمرا فالا لقد بعثوا به الى برودمور

ـ ألا تخشون أن يهرب بعض هؤلاء المجانين

ـ لقد سئلت هذا السؤال مرة . كلا . فان مستشفى الامراض

العملية مختلفة عن السجن فالهروب من السجن لابد للسجين من عون ومساعدة من الخارج أما الجنون فلا يرغب أحد في هروبه وإلا لكان الهرب سهلا لأننا لا نضع حراسا ويمكن فتح أي قسم من أقسام المستشفى من الخارج بلا مفتاح والحارس الذي يطوف بالأقسام كل نصف ساعة لا يقضي وقته إلا في الملاحظة.

أريد أن أحادث الدكتور توف؟

تردد برجراند قليلا ثم قال: نعم

لم يكن في هيئة هذا المريض ما يدل على أنه مجنون. كان أشقر ملتحيا ذا عينين زرقاوين. مد يده لبرجراند فمد إليه يده بعد تردد فوجد قبضته كالملزمة الحديدية. أما الجاويش فنظر إلى الطبيب وابتسم!

قال الطبيب: تستطيع أن تتحدث معه بلا خوف

فضحك المريض وقال: بلا خوف ولا تحيز ولا سوء ظن. هذا هو القسم الذي أقسمه الضباط الذين حاكموني في المجلس الحربي

فقال الطبيب موضحا: الدكتور توف هو القائد المسئول عن الخسائر التي أصابت الإيطاليين في كابوريتو

فقال المريض وهو يتناول ذراع برجراند ويسير به في الميدان والطبيب والجاويش يتبعانهما على بعد

إني بريء. وما حكم علي إلا لأن النساء كن يجلسن في المجلس الحربي وهذا مخالف للنظام كما تعلم

فقال برجولند : هذا صحيح

فقال توني — إن ابقائي في هذا اذا كان جزءا من مكيدة الحكومة الايطالية فهم بالطبع لا يرغبون أن أصل الى أعدائي

تنفس برجولند الصعداء وقال توني :

— إن أعدائي في لندن . وأعرف أين أجدهم

فقال برجولند وقد مرت ضمامة على وجهه : حقا ؟

— انهم آمنون من انتقامي ، مادمت هنا بحجة انني مجنون

نظر برجولند خلفه ورأى الرجال الثلاثة بعيدين عن الاسماع

فقال بصوت منخفض : اذا فرضنا انني جئت مساء الغد لمساعدتك على الهرب ففي أي قسم أنت ؟

فقال الآخر وعيناه ملتمعتان : بالقسم رقم ٦

— أتستطيع أن تتذكر ؟

فقال توني حاسما ، متأتي مساء الغد الى القسم فهم الغرفة الاولى على اليسار . فارجو الا تتاخر فان تأخرت . . .

— لن أتأخر فانتظرني الساعة الثانية عشرة

فقال توني : لابد أنك المارشال فورش

ثم ضحك وبدأ المجانين غير موضوع الحديث عند اقتراب الحراس

— صدقني يامستر برجولند أن مناورات الحلفاء كانت خطأ الى أن توليت القيادة

وبعد عشر دقائق كان المستر بوجرلند في سيارة تمضي متوجها لمنزله وهو يغبط نفسه على ما لاقاه من النجاح .

كانت جان تقول انه لابد أن يزور مستشفيات عدة قبل أن يعثر على ضالته فنجح من أول زيارة . غير أنه ارتجف عندما تصور ما بقي أمامه فعليه أن يتسلق السور (كان قد عرف مكان القسم الخاص بذلك المجنون) وأن يصحب هذا المجنون بعد نصف الليل

أبلغ خبر نجاحه لجان قائلا: من أول زيارة يا عزيزتي فماذا تظنين

— كنت أظن أنك ستنجح . وما هو أشق عمل قد تم .

— أتقولين ان هذا أشق عمل

— نعم والمهم الآن اخفاء خبر زيارتك لهذا المستشفى . فلو يظن اذا وقع أمر . ان كل كلام هذا المجنون محض هذيان . والآن أظن من الواجب ان أقوم بالزيارة التي وعدت بها المستر مرديث

الفصل الثالث عشر

ان صاحبة المستر مرديث واغاظها ان زوجة جان بوجرلند لم تتحقق مما تنبأت ان يكثر جان بوجرلند من زيارتها . والواقع انه لم يزرها قط . حتى اذا ذهبت الى المكتب كان المستر [illegible] هو الذي يقابلها ويخبرها ان جان في المحكمة لانه هو الذي يقوم بالعمل الخاص بالمحاكم . وقد لمحته مرة وهي مارة على المحكمة في الاستئناف وكان واقفا على الرصيف يتحادث مع أحد المحامين الذين

بلبوس الشبح المستعار فما كذبت أن المستر رنت لم يكذبها الخبر وقد بحثت عن اسمه في دفتر التليفون فعثرت على نحو خمسين جلوفر عشرة منهم باسم جيوفري. وقد بلغ من اقدامها أن اتصلت بتسعة منهم بالتليفون فلم تجده بينهم. ولم تعرف إلا أخيراً أن اسمه الكامل هو برترام جيوفري جلوفر. وإلا لوجدت عنوانه في سهولة

وقد جاءت المسز مورجان وتولت شئون المنزل وكانت الخادمة الجديدة هي ماريام. وقد أحبت المسز مورجان ذلك الزائر الذي المستر جاجز

وقد تعودت الغنى فكانت تختار في شراء منزل صغير في شارع كرزون وآخر كبير في سومرست بكل سكون وهدوء

وقد اهتاجت حين اشترت أول سيارة واستخدمت سائقاً وكانت لا تصدق أن البنك يرسل لها كل هذه المبالغ الطائلة بمجرد توقيعها على ورقة مستطيلة أما الآن فقد أصبح الأمر في نظرها عاديا

قالت جان وهي تجيل البصر في غرفة الجلوس

— هذا مسكن جميل يا عزيزتي ولكنه موحش من قبل. ولكنني في شدة الشوق لرؤية مسكنك الجديد الذي تؤثثينه بنفسك

كانت جان قد سألتها بالتليفون في الصباح إن كان من الموافق أن تزورها ذلك المساء. ولذا كانت الفتاتان منفردتين

— نعم. هو مسكن لطيف ربما كان أصغر مما ترينه. وهو هادئ أنام فيه نوما عميقا هنيئا لا يقلقني شيء. ولكن وقع

حادث منذ بضعة أيام

فقالت جان وهي تقلب السكر في الشاي : أي حادث يا عزيزتي

— لست أدري بالضبط . ولكني استيقظت قرب الصباح على صوت ترجم فنظرت من النافذة ورأيت رجلين كان أحدهما مصابا ولكني لا أعلم ماذا حدث

— لعلهما من العمال أو أنهما كانا ثملين . وأنا بالذات لا أحب السكنى في المساكن المفروشة لأن كثيراً من الأشياء تكسر وعلينا دفع ثمنها . وكذلك تضيع مني المفاتيح . لأن للباب مفتاحين أو ثلاثة . وعليك الاهتمام بالمفاتيح لأنهم يطلبون مبلغا كبيرا إذا ضاعت

فقالت ليديا : أظن أن الوكيل سلمني ثلاثة مفاتيح

ثم قامت إلى مكتبها وفتحت درجها وقالت

نعم ثلاثة . فهنا واحد معي وآخر مع المسز مورجان وواحد

— هل رأيت جارك جاوفر من عهد قريب

— كلا . لم أره . ولم تصدق نبوءتك

— أظنه مشغولا . وأظن أنني أستطيع أن أحبه لولا ميله إلى السيطرة على غيره وإملاء إرادته عليهم . أوه ما أشد إهمالي !

كانت قد قلبت فنجان الشاي وسال الشاي على المائدة فأخرجت منديلها بسرعة لتجفف المائدة ولكن ليديا منعتها قائلة

— كلا . لا تتلفي منديلك الجميل . ها هي خرقة .

ثم خرجت من الغرفه مسرعة وعادت حالا فوجدت جان واقفة أمام المكتبة تنظر الى منديلها الذي تلف وهي باسمة

ـ دعيني أضع منديلك في الماء والا ظهرت عليه البقع

فقالت جان وهي تدس المنديل في حقيبتها : كلا . أحب أن أباشر ذلك بنفسي . كانت هناك أسباب عدة تمنع ليديا من لمس هذه القطعة من النسيج الرقيق ومن أهمها أن بداخل المنديل مفتاحا كانت جان قد أخذته من المكتبة ودسته في المنديل عند خروج ليديا

بعد بضعة أيام قابل برترام جوذ جلوفر موظفا كبيراً من دائرة سكوتلنديارد غير أن هذه المقابلة لم تكن مرضية . فقد أصغى الموظف في أناة لما رواه جلوفر من شكوكه التي تحولت الى حقائق ثابتة ثم قال الموظف

ـ قضيت في هذه الوظيفة خمسة وعشرين عاما سمعت فيهـا المدهشات ولكني لم أسمع قط عا يماثل حكايتك هذه . وقد قابلت المستر برجرلند وابنته ولم أر في حياتي من هي أجمل منها

ـ لقد مللت آيات الثناء على جمال هذه الفتاة ياسيدي . فهي لاتغير من الحقائق . فقال الموظف في سخريه . ماهي الحقائق التي تحدثنا بها

ـ الحقائق الخاصة بتاريخ عائلة برجرلند . لقد كان برجرلند على حافة الهاوية حين تزوج من الآنسة ورديث وهو يعتقد أنه

سينال ثروة مع زوجته . وقد عاش في ضنك طوال حياته الى أن بلغت فتاته الخامسة عشرة من سنها وكانوا يقيمون في منزل صغير في ايلنج كانت أجرته لا تدفع في سهولة . ثم تعرفه برجرلند الى غني اسمه الى متوسط السن وقع في غرام الفتاة ومات هذا الاسم الى الغني فجأة

- نعم . وقد ثبت من التحقيق أن السبب في موته أنه تناول جرعة غير عادية من الفيرونال الذي كان متعودا تناوله . وأنت تظن أنه مات قتيلا ولكنه لم يترك للفتاة سوى ستة آلاف من الجنيهات . فلماذا يقتل ؟

- كان برجرلند يظن أنه سيعطي جميع ثروته .

فقال الموظف : هذا مجرد حدس وتخمين . ثم ماذا

- ولما بلغت الفتاة السابعة عشرة تعرفت بمن يدعى ..... وكان قد جن بغرامها . وكان تاجرا متزوجا وله أولاد ولكنه جمع كل ما تستطيع يده الوصول اليه من المال : ويبلغ نحو خمسة وعشرين ألفا من الجنيهات وفر الى القارة في زعم أن الفتاة سبقته اليها وعلى أن تنضم اليه في كاليه ولكنه لم يصل قط الى كاليه ويقال أنه ألقى بنفسه في اليم ووجدت جثته الى دوفر ولكن لم يوجد معه شيء من المال الذي سحبه من المصرف .

- وهذه نظرية أخرى لم تثبت . صحيح أن الآنسة برجرلند كانت صديقته ولكن ثبت بالدليل القاطع أنها كانت في لندن

ليلة مصرعه . فهذا حادث أنتحار لاشك فيه .

وبعد ذلك بسنة احتالت على مقابلة مردیث ابن خالها . وكان أبوه قد مات وحضر من أواسط أفريقية لترتيب شئونه . فأثرت عليه وأنت مطلع على باقي قصته

- أهذا كل ما لديك ؟

- هذا كل ما استطعت الوصول اليه . ولابد أن هناك حوادث أخرى .

- وماذا تنتظر مني أن أفعل ؟

فقال جاك باسما : لست أنتظر أن تفعل شيئا لانك لم تتقبل اراءي بأي اهتمام .

فوقف الموظف قليلا على انتهاء المحادثة ثم قال

- كنت أود أن اساعدك لو كنت في حاجة الى المساعدة ولكن حين تأتي الي وتقول ان الانسة برجرلند التي يفيض الطهر والبراءة من وجهها مجرمة بالقتل متآمرة لاقلب لها . ماذا تنتظر ان اقول ؟

- انتظر منك أن تقوم بحماية المستر مردیث أنتظر منك ياسيدي أن تذكر اني أنذرتك بأن المستر مردیث قد تلقى حتفها بحادث مفاجيء من الحوادث التي برعت في تدبيرها المس برجرلند وابنته . وساقدم هذا الانذار كتابة حتى اذا أصاب المستر مردیث حادث كنت مسئولا

دق الموظف جرسا فجاء أحد رجال البوليس فقال له

— سر بالمستر جاوفر إلى الخارج

عاد إلى المستر جاوفر هدوؤه بعد خروجه وأنب نفسه على أنه لم يستطع ضبط شعوره . ثم اشترى صحيفة وركب قاصداً الى مكتبه وبينما هو يقلب الصحيفة عثر على عنوان يلفت النظر

« فرار مجنون خطر »

« أبلغ كبير الأطباء بمستشفى نوروود أن الدكتور الجيروف جون ثون أحد المقيمين بالمستشفى قد فر ليلة الامس . وقد تألفت جماعات للبحث عنه فلم يجدوا له أثراً . وهو مشهور بميله لاقتراف جريمة القتل وهذا يجعل القبض عليه من الامور الضرورية »

وبعد ذلك وصف المجنون الهارب . قلب جاك الصحيفة وأخذ يقرأ في مكان آخر وقد نسي هذا الموضوع . غير أن المستر رفنت ذكره بها على المائدة لأن مستشفى نوروود قريب من داولتش

قال : ان نساء المنزل في شدة الخوف فهن لا يخرجن ليلاً ويغلقن الابواب والنوافذ غلقاً محكماً . ماذا كانت نتيجة مقابلتك لموظفي سكوتلنديارد ؟

لقد افترقنا ونحن على طرفي نقيض . واعلم يا رفنت أن كل من يتكلم أمامي عن جاك جان برجراند لا بد لي من قتله

الفصل الرابع عشر

جاء جاك هذه الليلة متأخراً عن عادته ثم صعد الى غرفته فدخلها

وأغلق بابها وكانت ليديا تعزف على البيانو فتوقفت عن العزف عندما جاءت المسز مورجان تبلغها نبأ مجيئه

- لقد حضر ياسيدتي

- ولآخر مرة . أعلمي يامسز مورجان انني لا أطيق وجوده في المنزل فهو يثير أعصابي

- ولكنه رجل لا بأس به ياسيدتي

- لست أعلم عنه . ولكني قد كتبت للمستر جلوفر انني في غنى عن خدماته

- ولماذا هو هنا ياسيدتي

- هو هنا لأن . . . لأن المستر جلوفر يعتقد أنه لابد لي من رجل يحرسني .

فقالت المسز مورجان في انزعاج : ومم يحرسك

- خير لك أن تسائلي المستر جلوفر هذا السؤال

كانت ليديا قد بدأت تتألم من مظاهر السيطرة عليها . وكل فتاة تستاء اذا رأت من يتحكم في ارادتها ويسيرها على رغبته حتى لو كان أخا لها وكان وجود جاجز دليلا على ما يفرضه عليها جاك جلوفر فبدأت تصدق ماقالته جاني برجراند من أن جاك يحب أن يفرض على الناس سيطرته فرضاً . غير أنها لم تتأكد من شعورها نحو هذا الحامي الشاب الجميل الصورة . صحيح انه يغضبها بتصرفاته أحياناً ولكنه يسرها أيضاً . وكانت لا تشك

في اخلاصه وقد اعترفت بينها وبين نفسها أنها تود أن تكثر من زيارتها . وربما يكون قد أقنعها بأن جاجز شر لابد منه . ولكنه لا يأتي . اذن لابد من ذهاب جاجز

قالت المسز مورجان : أظن ان بالرجل لوثة في عقله

فقالت ليديا في دهشة : ولماذا تظنين ذلك

— لأني اسمعه أحيانا يكلم نفسه وأنا مارة على غرفته . أيبقى في غرفته دائما .

فقالت ليديا : كلا . وهذا مايجعلني أصمم على ذهابه . لقد سمعت حركته في الدهليز ليلة الامس نحو الساعة الثانية صباحا . وقد اضطربت أعصابي حتى صارت أقل حركة توقظني . كان قد خلع نعليه وسار زاحفا في جواربه ولما قمت وأضأت النور عاد الى غرفته

ذكرت ليديا وهي تخلع ملابسها استعداداً للنوم أنها قد قضت بضعة أيام لاتخرج مساء . على أنها لو خرجت لما فارقها جاجز . ثم تذكرت ان وجود جاجز في مساء أحد الايام قد أنقذها من الموت فأنبها ضميرها

وطالما عجبت من يكون جاجز وأين وجده سيلك . وقد سألت جاجز نفسه مرة ولكنه راغ من السؤال . ولما أطفأت النور لتنام قالت في نفسها على أية حال لابد لجاجز من الذهاب انه يزعجني

ثم استيقظت مضطربة من نومها . كانت الساعة تدق الثالثة

وكانت عيناها شاخصتين في النافذة التي كانت مفتوحة من أسفل لأن الست سوزان أغلقت نصفها الأعلى . ولكنها وجدتها الآن مفتوحة كلها . فبدأ قلبها يدق بشدة . وأول ما خطر ببالها عاجز . لم تكن تظن ان الفرصة ستأتي حين تذكر هذا الرجل بشيء من الشفقة . كانت العاصفة قد هدأت وانبعث ضوء ضئيل من قمر آخر الشهر . ثم رأت الستائر تتحرك ففتحت فاها لتصيح ولكن الخوف عقد لسانها وحبس صوتها فبقيت كالمصعوقة تحدق النظر في الستائر . ثم رأتها تتحرك مرة أخرى وما لبثت ان رأت شبحا يظهر في فراغ النافذة .

استمدت الفتاة من الضعف قوة ووثبت من الجانب الثاني من الفراش وأسرعت تعدو الى الباب غير ان الرجل كان أسرع منها فأدركها . وقبل أن تصيح كانت يد ضخمة قد قبضت على عنقها وحملتها وألقت بها على جانب الفراش . نظرت وهي مرعوبة الى الوجه القاسي الذي يطل على وجهها وأحست بقبضة الرجل تشتد على عنقها فأحست نفسها تموت .

وبينما هي تحدق النظر في وجهه والموت يقترب منها إذ ظهرت فجأة على ذلك الوجه علامات الألم والرعب ثم تراخت قبضته عن عنقها وأفلتها . ثم سقط جثة هامدة الى جانب فراشها

ثم رأت ... كأن رجلا قد دخل من الباب . وكان مديد القامة ذا لحية شقراء وعيناه ترقصان بجنون وحشي . وهذا تقدم نحوها

في بطنه وهو يمسح في كمه خنجراً طويل النصل هو الخنجر الذي بعث بهاجمها الى الابدية .

أحسست بالغريزة ان هذا الرجل مجنون . ثم تذكرت ماقرأته في إحدى الصحف عن فرار أحد المجانين . حاولت أن تمر من جانبه الى الباب ولكنه قبض عليها بيده اليسرى وجذبها نحوه وقد ارتفعت قامته فوق رأسها ثم قال

- لم يكن لك حق في الجلوس في المجلس الحربي ياسيدتي

في هذه اللحظة أضيء النور في الغرفة وظهر جاويز في بابها وفي يده مسدس ضخم وقال : ارم بهذا الخنجر الى الارض والا قضيت عليك :

التفت الطبيب المجنون نحوه وعبس في وجهه ثم قال في هدوء

- صباح الخير أيها الجنرال . لقد جئت في الوقت المناسب

ثم ألقى بالخنجر على الارض وقال

- سنعها كيها عليها للقوانين

الفصل الخامس عشر

« حادث فظيع في الوست اند »

طبيب مجنون يجرح امرأة في غرفة نوم سيدة من الطبقة العليا

« نتج من فرار الدكتور نوف من مستشفى الامراض العقلية بنوروود (وقد نشرنا تفصيلات هذا الفرار بعدد الامس) حادث

تظيم . ففي الساعة الرابعة صباحاً وصلت اشارة تليفونية الى المفتش مالر من سكوتلند يارد فذهب الى رقم ٨٨ بميدان كافنديش الى مسكن المسز مرديث فوجد هناك الدكتور ثورن المجنون الهارب فقبض عليه . وقد وجد بالغرفة أيضاً رجلا يدعى هوجنز وهو معروف في دوائر البوليس . ويظهر أن هوجنز دخل هذا المسكن بالصعود الى السطح ثم تدلى بحبل ودخل من نافذة غرفة النوم . وقد أحست المسز مرديث بدخوله ولولا تدخل الدكتور ثورن الذي دخل المسكن بطريقة غامضة لقتلها هوجنز . ونفهم من صراخ الوالدين أن الدكتور ثورن جرح هوجنز جرحاً بليغاً لا يرجى منه شفاء ثم التفت الى السيدة . ومن حسن الحظ استيقظ رجل عجوز في خدمة السيدة كان نائماً في المسكن وخلص السيدة من قبضة ذلك الطبيب المجنون . وقد نقل اللص الجريح الى المستشفى والطبيب المجنون الى دائرة البوليس ومن هناك أرسل في حراسة قوة كبيرة الى المستشفى الذي فر منه . وقال المجنون ان الجنرال فوش ساعده على الهرب وقاده الى منزل مضطهديه »

فالقت جاني بجريدة الصحيفة من يدها وضحكت

فقال المستر برجرلند : ليس في ذلك ما يضحك

... ان لم أخبرك لفعلت شيئاً مثيراً . لم أتصور قط أن ذلك الاحمق هوجنز يعود الى المسكن لارتكاب الجريمة منفرداً

ان فير يقول أنه لن يعيش . فهل يتكلم ذلك المجنون يا ترى

وماذا يهم اذا تكلم

ـ لقد قلت منذ بضعة أيام ...

فقاطعته قائلة : منذ بضعة أيام كان الامر هاما أما اليوم فلا يهم . لقد خالفت جميع المبادىء بأن تعهدت بهذا العمل لغيري أم هواجس !

فقال أبوها : ماذا تقولين

ـ انني أكرر اسما محبوبا . انني ذاهبة للنزهة في الريف أترغب في المجيء معي . وسوف نتحدث من جهة السيارة الجديدة . وعلى ذكر ذلك . لقد وصلت فاتورة السيارة هذا الصباح فهل عندنا نقود ؟

ـ بضعة الاف . واعلمي ياجان أنه لا بد لنا من بيع شيء اذا لم تتحسن الامور .

التوت شفتا الفتاة ولم تقل شيئا

ثم وهي في طريقها خرجت على مسكن المستر هربرت جيدان كافنش ولم تدهش أن تضطرب حين رأت جاك جيلوفر هناك . فقالت بحرارة

ـ لقد ارتعبت ياعزيزي حين قرأت الاخبار . كم كان الامر مؤلما لك !

كانت ليديا مصفرة الوجه وقد ظهرت خطوط عميقة تحت عينيها . قالت : كنت الآن أشرح للمستر جلوفر ماوقع ومن سوء

الحظ أن جاستر المدهش ليس هنا لأنه يعرف ماحدث أكثر مني لأني أعمى عني

فقالت جاك : ولكن كيف دخل الى هنا . أعني ذلك المجنون

فأجاب جلوفر : دخل من الباب . وهي أسهل وسيلة في العالم يدخل بها مجنون أحد المساكن . وقد جاء به الى هنا شخص مجهول أشعل عودا من الثقاب ليتأكد من رقم المسكن

فقالت جاك : قد يكون هو الذي أشعل الثقاب . ولكنك ماهر ولا يمكن أن تقرر أمرا كهذا الا إذا كان لديك دليل

وجدنا عودين من الثقاب في الممر ولما فتش الدكتور تومز لم يكن معه كبريت وقد علمت أنه كسائر المجانين تزعجه النار . وقد أكد لي الطبيب الذي كنت أحادثه انه يستحيل أن يكون هو الذي أشعل الثقاب . وعلى ذكر ذلك أيتها الآنسة . لقد التقى أبوك بهذا المجنون . فقد علمت أنه زار ذلك المستشفى منذ بضعة أيام

فقالت بغير تردد : نعم . وكان يتكلم عن هذا الصباح . وأبي يزور مستشفيات الأمراض العقلية لأنه يؤلف كتابا في هذا الموضوع . وقد ارتعب حين علم بفراره لأن الطبيب اخبره انه شديد الخطر . ولكن من كان يظن انه يأتي الى هنا لو قرأ الانسان ذلك في كتاب لما صدقه

.. وذلك جوستر أليس من معارفك فهو من اعضاء النادي الذي انشأه ابوك . أليس كذلك

- لست اتذكر هذا الاسم . ولكن ان كان الرجل من ذوي الاجرام لاشك انه من اعضاء النادي . ولكن أبي لا يستطيع ان يصلح الا بست اند

- لا اظن انه سيصلحه . على ان السؤال ايستطيع الا بست اند ان يصلح اباك

فقالت في سخرية : ما اقسالك . لست ادري لماذا تكرهه الى هذا الحد والواقع إنه رجل مسالم . (ثم التفتت إلى ليديا) أترين ياعزيزتي أن المستر جلوفر يرى في هذا الحادث ايضا اثرا له ؟

فقالت ليديا : انك أبعد الناس عن مثل هذه الاشياء ياعزيزتي جان والمستر جلوفر لا يظن بك كل هذه الظنون .

قال جلوفر بعد تفكير : كنت أظن يا آنسة برجر انك لو أنك تزوجت

وهكذا أعطاها الفرصة فانتهزتها . فقالت

- نعم . ليتني تزوجت ولكن لم يكن في استطاعتي أن أتزوجك ياجاك . ثم تركته مصعوقا لا يقدر حتى على التوجع

ولما فرغت ليديا من توديع زائرتها الى الباب قالت له في برود مع التأنيب

- لقد صدقتك حين أخبرتني أن ذلك غير صحيح .

ولكنها ندمت على ذلك فيما بعد

الفصل السادس عشر

كانت ليديا قد وعدت المسز كول مورتيمر بالذهاب معها الى الملعب تلك الليلة . وقد سرها أنها وجدت عذراً للخروج من منزلها الحزين . كانت المسز كول مورتيمر قد استأجرت (لوجا) وكانت ليديا قد رأت هذه الرواية من قبل فجلست في أحد اركان (اللوج) في سكون ورأت الاخرى من الحكمة أن تتركها لافكارها

وفي الفصل الاخير من الرواية عرضت عليها دعوة قبلتها في سرور

قالت : لي منزل في كاب مرتن . وهو بيت صغير ولكني أظن انه يعجبك ولست أحب ان أذهب الى ساحل الرفييرا منفردة فأكون سعيدة جدا ان سمحت بالنزول عندي ضيفة هنالك . وربما تنزل باليخت الى مونا كو فتتمتع متعة جميلة

فقبلت ليديا الدعوة الى المنزل واليخت بغير تردد ولم يخطر ببالها ان ذلك البيت وذلك اليخت قد استؤجرا ذلك الصباح بالتلغراف وكانت تظن ان المسز كول مورتيمر واسعة الغنى فلم تعلم بان جاك روبرلند هي التي دفعت اجرة الاثنين . وعلمت ليديا بعد ذلك ببضع سنين ان هذه المرأة كانت تعيش مما تقترضه من المال الذي لم تفكر في رده ولم يفكر مقرضوها في استرداده

ثم ذهبا معا لتناول العشاء فى أحد النوادى . وقد فكرت ليديا فى حاجز وقد فيرت رأيها من جهته وأحست بأهمية وجوده ولما وصلت الى باب النادى تطلعت عينا وليم الاعساها ان تراه فلم تجد له أثرا .

ولم تخف المسز كول مورتيمر عن ليديا زعمها أمكان وجود جان برجولند فى النادى . وقد وجدوها فعلا جالسة مع جماعة مرحة من الشبان والشابات . فأخلت مكانا لليديا الى جانبها وعرفتها بنحو ستة منهم لم تسمع ليديا أسماءهم جيدا ولم تتذكرهم قط بعد ذلك . وكان بينهم المستر ماركوس مستبتى وكانت تعرفه من قبل وكانت مقابلته الثانية لها أسوأ أثرا فى نفسها من مقابلته الاولى .

ثم سألتها جان : أتريدين الرقص

وكانت فرقة الجاز تعزف . فلما أجابت ليديا بالايجاب استدعت جان شابا جميلا طويل القامة من رفاقها ليراقصها . وهذا أخذ طيلة دور الرقص يتغنى بمديح جان والثناء عليها .

فقالت ليديا : نعم . لاشك انها جميلة .

فقال الشاب الذى علمت فيما بعد انه اللورد سمترز

— أظن أنها أجمل مخلوق على وجه الارض (وبعد قليل) وأنت أيضا بارعة الجمال (فضحكت ليديا)

ثم قال الشاب : ولكن لجان أعداء . آه . لو قابلت ذلك النغل جارفر

فقالت وقد فارقت الابتسامة وجهها . ان جلوفر من أصدقائي

- آسف . ولكن ...

- أتقول الآنسة برجرلند أنه رجل شرير

- كلا . كلا . أنها لا تقول شيئا ضده . اعا تقول انها لا تدرى الى متى تتحمل اضطهاده لها . ومما ينفر له القلب أن يرى الانسان ما يسببه صديقك لها من الاسى .

أخذت ليديا تفكر بقية ذلك المساء . بدأت ترى أشياء لم تكن تراها من قبل . ان جان لا تطمئن على جلوفر بأى شكل ولكنها استطاعت أن تثير ذلك الشاب ضده ، وكذلك أدركت مع الدهشة أن جان استطاعت أن تضع فى نفسها شيئا من جهة جاك وان كانت لم تقل شيئا ضده

ولما وصلت الى مسكنها وجدت أن عاجز لم يأت ذلك المساء ولكنه جاء بعد وصولها ببضع دقائق وهو ملتف بمعطف صوفي كبير وعلمت من هيئته أنه قد قضى المساء بطوله فى الشارع فى المطر والثلج

فقالت : كيف ذلك ياعاجز . أين كنت

- كنت أطوفه قليلا ياسيدتي . كنت أرعى البط الصغير فى البركة

- كنت خارج الملعب وكذلك كنت تنتظر خارج نادى نيرو أليس كذلك ؟

- لست أعلم ياسيدتي فكل مذهب في نظري كالآخر بلا فرق
- عليك أن تخلع هذه الملابس المبللة وتتركها المسز مورجان لتجففها

غير أنه رفض ذلك فيا هذا المعطف الكبير ، ثم اختفى في غرفته المظلمة : ولما هدأ وأطفئت جميع الأنوار فتح باب غرفته في سكون وأخذ كرسيا وأسنده الى باب المسكن ثم جلس عليه يهوم في النوم .

ولما استيقظت ليديا في الصباح وجدته قد ذهب كالمعتاد

الفصل السابع عشر

كان لدى ليديا ما يشغلها طوال وقتها . كانت قد اشترت المنزل الذي في شارع كوندوق فطافت على تجار الرياش وورق الجدران وغيرهم .

وقد جاءت الرحلة الى ساحل الرفييرا في الوقت المناسب فهي تقصد أن تترك أمر تأثيث المنزل الى عهدة المسز مورجان . وتعود من رحلتها الى المنزل الجديد وقيل انه يتم تأثيثه في شهرين

أما أمر المستر جاجز فيمكن البت فيه بطبيعة الحال .

ولما جاء تلك الليلة قالت : أنا ذاهبة إلى جنوب فرنسا في الاسبوع المقبل ياجاجز

فقال جاجز : مكان جميل

- نعم . مكان جميل . وستعطي اجازة : فاذا يجب أن أدفع لك
- أن السيد يدفع لي . أقصد السيد الهادي
- هذا حسن . يجب أن يستمر على دفع مرتبك طول غيابي وأنا مدينة لك بالشكر الجزيل وأريد أن أقدم لك هدية فماذا تطلب
فحك رأسه في تفكير وقال انه يفضل أن تكون (بيبة) غليون التدخين . ثم قال : ولو أني لست أطلب هدايا . بارك الله فيك
فقالت الفتاة : سآتيك بأحسن غليون يمكنني شراؤه . وان كان شيئاً تافهاً

وبقي جاجز يقوم بواجباته الى صباح اليوم الذي سافرت فيه . ومع انها قامت مبكرة فانها وجدته قد ذهب فاستاءت لأنها لم تعطه ما اشترته له من (البيبات) وكذلك كانت تود أن تشكره . وقد أحست أنها لم تحسن معاملته مع انها مدينة له بحياتها مرتين
فسألت المسز مورجان قائلة : هل رأيته يذهب
- كلا ياسيدتي . لقد استيقظت الساعة السادسة فوجدته قد ذهب ولكني وجدت كرسيه في الدهليز ويلوح لي انه كان ينام هناك
فقالت الفتاة : ياله من عجوز مسكين . لم أحسن معاملته مع أني مدينة له بالشيء الكثير
فقالت المسز مورجان : لعله يأتي ثانية
كانت المسز مورجان تحب ذلك الشيخ ولعل أسفها على فراق ليديا كان بالأكثر لأنه يجعل جاجز يحتجب وكانت تؤمل أن يعود

ولكنه لم يعد . وكذلك كانت ليديا تتوقع أن تراه في المحطة
نفاب أملها

وقد قامت بقطار الساعة الحادية عشرة وانضمت الى المسز
كول مورتيمر في المحطة . وقد رأت تلك السيدة أن يصرفا ليلة
في باريس . وهذا الترتيب قد أفاد ليديا لانها تعبت في عمرو
مضيق دوفر وكانت في حاجة الى الراحة . وكان كل شيء في جنوب
فرنسا جديداً عليها . الجو والشمس والنبات . فكانت الشمس
ساطعة والازهار يانعة على جانبي الخط الحديدي في شهر فبراير .
والبحر هادىء كمرآة الحسناء

تركوا القطار في نيس وركبوا سيارة سارت والجراف كورنيش .
ووقفوا في مونت كارلو ثم غادرتها المسز كول مورتيمر للقيام
بزيارة فجلست ليديا تتمتع بما يحيط بها من الجمال بينما كانت المسز
كول مورتيمر تتخابر مع وكيل المنزل . ثم عادوا عودا من الطريق
الذي قطعوه الى أن وصلوا الى شبه الجزيرة التي تكون رأس
كاب مارتن وهنالك رأت ليديا صفا من (الفيللات) الجميلة بين
أشجار الصنوبر والطرق المعبدة التي تؤدي الى الوديان . ثم وقفت
السيارة أمام منزل جميل المنظر (حتى المسز مورتيمر دهشت لمرآه)
أما ليديا التي كانت تظن أن هذا المنزل ملك المسز كول
مورتيمر فقد سرت سروراً عظيما ثم قالت

— ما أسعد حظك اذ يكون لك مثل هذا المنزل في هذه البقعة

يامسز كول مورتيمر .

لم تكن ليديا قد أدركت بعد أن ثروتها تسمح لها بامتلاك مثل هذا المنزل ، ولم تكن تتوقع أن ترى جاني وجيرلند وأباها هناك أيضاً . وكانت المسز كول مورتيمر قد تحاشت ذكر جاني وجيرلند طوال الطريق ولكنها قالت

- ألم أخبرك أننا سنجدها هنا . بالطبع لأن جاني العزيزة قد سافرت قبلنا بيومين . والآن في امكاننا أن نلعب البردج أليس كذلك؟

كانت ليديا لا تعرف لعبة البردج ولكنها أبدت استعداداً لتعلمها . وقضت الوقت الباقي إلى غروب الشمس في فحص الحديقة والطريق المؤدي إلى البحر

وقد ابتهجت برؤية الأنوار التي كانت تضاء الواحد بعد الآخر في مونت كارلو على بعد وفي هذا اليخت أو ذاك في عرض البحر أمام موناكو .

ثم جلس لتناول الطعام وكانت جاني في خير حالاتها فكانت تصل النكتة وراء الأخرى بحيث لم تنقطع ليديا عن الضحك أما المسز كول مورتيمر فكانت في حالة سيئة لأنها سمعت أخباراً غير سارة وكانت في حيرة لاتدري اذ كانت تبلغ هذه الأخبار للجماعة أم تبقيها لنفسها وأخيرا قالت : يقول سيلست أن ابن البستاني مصاب بمرض الجدري الخبيث

كانت جاني تقص على ليديا قصة فلم تؤبه لما قالت المسز كول مورتيمر

أما المسيو بوجرانف فقد ارتعب وقال :

— الجدري . هناك في كاب مارتن . يا إله السماء هل سمعت هذا يا جان ؟

— سمعت ماذا ؟ عن ابن البستاني ؟ نعم . إن المرض منتشر في ساحل الريفيرا الإيطالي . وفي الواقع أقفلوا الحدود في الأسبوع الماضي

فقال بوجرانف مرتجفا : ولكنه هنا . هنا

نظرت اليه ليديا مندهوشة فوجدت الرعب باديا عليه . فقد انقلب لونه النحاسي الى رمادي وارتجفت شفتاه

فقالت جان : وماذا نخشاه ان كان منتشرا هنا

ثم التفتت الى الفتاة (ليديا) وقالت : هل طعمت قريبا ضد الجدري

— كلا . لم أطعم منذ كنت طفلة . ولم ينجح التطعيم وانا طفلة أيضا

فقالت جان : على كل حال تقصدون الطفل في الكوخ وسينقل هذه الليلة الى نيس . يا له من طفل مسكين . حتى أمه قد هجرته أتذهبين الى الكازينو

فقالت ليديا : لست أدري . اني متعبة ولكني أود الذهاب

— اذهبي معها يا أبي . واذهبي أنت أيضا يا مرجريت وحين تعودون يكون الغلام والعدوى قد انتقلا من هنا

فقالت ليديا . ألا تأتين أنت أيضا

— كلا : فقد التوى كعبي وهو يؤلمني فسأبقى هنا هذه الليلة

أبي :

ولما قالت (أبي) كان صوتها حادا والتوسل ظاهرا فيه

فجمع الرجل همه وقال : طبعا يا .. عزيزتي .. يسرني .. في أن أذهب

ثم اختلى بابنته حين كانت ليديا تغير ثيابها في غرفتها الجميلة المطلة على البحر

وقال : لماذا لم تخبريني أن انجلسري ستقيم عندنا في كاب ماوتن

لأني لم أعلم بانتظاره إلا حين أوصت مرجريت قلبها بإلقاء الخبر علينا وشعرت أني لابد أن أقول شيئا فقلت ما قلت . يالك من رجعية !

— إني أمقت حتى التفكير بالمرض . لماذا لا تأتين معنا . أليس بكعبك شيء

— لأني أفضل البقاء في المنزل .

فنظر إليها في ريبة وقال : جاك . ألا ترين الإبقاء على الفتاة قليلا إلى أن تنصرف عن الأفكار حكاية الطبيب المجنون

— لا نستطيع الإبقاء عليها (كما تقول) ساعة واحدة . ألا تدرك أن صاحبها قد يقضيها يوما ما بعمل وصية تتركها ثروتها (القطط) . لولا وجود جاك جانوفر لانتظرت أشهرا . ولي أني أقل اضطرابا من جهة جاجز . واعلم يا أبي أني أصبحت أخشى ذلك العجوز

- ليس احد منهما هنا . . .

- صحيح ليس أحد منهما هنا ولكن وصل الى ليديا تلغراف منه يسألها ان كان يمكنه ان يحضر ليراها في الاسبوع المقبل

ثم جاءت ليديا فنظرت اليها جان وقالت

- ما اجملك ياعزيزتي . (ثم قبلتها)

فتقوس انف ابيها . كما يتقوس كلما صببت له ابنته صفعة

الفصل الثامن عشر

انتظرت جان بوجبرانه إلى أن تلاشى دوي السيارة الذاهبة بهم ثم قصدت إلى غرفتها . ثم أخرجت ثوبا ضيقا تلبسه عادة وهي تسوق السيارة . وكانت قد رأت زجاجة من البيروكسيد في غرفة المستر كول موريتيمر . وهو مطهر قوي فصبت منه مقدارا كبيراً في وعاء وأضافت اليه شيئا من الماء وبللت منديلا فيه ثم عصرته جيداً وربطته ربطا غير محكم حول عنقها . ثم لبست قبعة استحمام على رأسها وقفازاً محكما على يديها . ثم أطفأت النور ونزلت في خفة وكان الخدم يتناولون طعامهم ففتحت الباب الخارجي وانسابت منه في الحديقة إلى أن وصلت الى كوخ البستاني

وكان نور ضئيل مشتعلا في احدى غرفتي الكوخ فأطلت من النافذة ورأت الفراش والغلام الصغير الذي فيه . ولم يكن هناك أحد غيره . قال الخدم أن أم الغلام قد هجرته . ولكن هذا لم يكن

صحبتها . لأن الطبيب أمر بعزلها وأرسل ممرضة من مستشفى الأمراض المعدية لتعمل معها . وكانت هذه السيدة في ذلك الحين جالسة في آخر الطريق تنتظر النقالة

فتحت جانب الباب ودخلت وسحبت المنديل المشبع بالمطهر حتى غطى فمها وأنفها . وبغير تردد حملت الغلام ولفته في بطانية وعادت من حيث أتت . ثم صعدت السلم وعمدت الى غرفة ليديا وكان ضوء غرفة الجلوس كافياً لتري الفراش . فرفعت البطانية عن الغلام وأرقدته في فراش ليديا . لم يكن الغلام في وعيه وقد ظهرت علامات المرض عليه بشكل فظيع . ثم جلست على كرسي تنتظر . وبعد نصف ساعة قامت ولفت الطفل في بطانيته وحملته وعادت به الى الكوخ . وقد سمعت أزيز السيارة ووقع الأقدام وهي عائدة بين أشجار الحديقة .

فعادت مباشرة الى غرفة ليديا ورتبت الفراش ثانية ورشت شيئاً من ماء الكولونيا في الغرفة . ثم عادت الى الحديقة وخلعت الثوب الضيق والقبعة والمنديل وجعلت منها جميعاً رزمة ألقت بها في نافذة ذات قضبان كانت تعلم أنها في قبو . ثم خلعت القفاز وألقت به وراءها

ثم سمعت صوت الممرضة والخادم وهما ينقلان الطفل الى النقالة فقالت : ياله من طفل مسكين . أرجو له الشفاء

ومن الغريب أن ذلك الدعاء كان من قلبها



كانت ليلة سعادة ليديا . وقد عادت الى المنزل في ثاني مرتين متعبة ولكنها كانت سعيدة جداً . لقد اطلعت على عالم جديد لم تره في أحلامها ومع أنها كانت تبغي النوم وهلا كانت تغفو وهي في السيارة الا أنها من فرط سرورها أخذت تقص على جان ما حدث وما شاهدت

ذهبت المسز كولسورثي . وكذا المستر برجولند الى الفراش تواً وكانت ليديا أيضاً تود الذهاب الى غرفتها ولكن جان كانت تتكلم وأخيراً قالت ليديا : اني لم أذهب لأنام يا عزيزتي فانني أنام على المائدة

فقالت جان : انني آسفة لاعاقتك

وسارت معها وصعدتا السلم معا ولم تتركها إلا أمام غرفة نومها وكانت إحدى الخدم قد وضعت ملابس نومها على مقعد . فغيرت ثيابها بسرعة . ثم فتحت باب غرفة نومها . ثم وضعت يدها على زر النور . ولكنها أحست برائحة غريبة . رائحة عطر ما . فأضاءت النور وهي تتعجب من اين أتت هذه الرائحة . ولما وصلت الى فراشها حتى وقفت مبهوتة . لأن الفراش كان غارقا بالماء . وكان الماء يقطر من الفراش الى الارض . وكان كل الفراش مبتلا ـ البطاطين والملاءات والوسائد . ومن هذه الأشياء كانت تنبعث رائحة العطر الذي عرفته قبل أن ترى على أرض الغرفة زجاجة فارغة

مكتوب عليها (بيروكسيد الهيدروجين)
لم تدر ماذا تفعل . كان الوقت متأخرا فلا يحسن ايقاظ أحد
ثم تذكرت ان بغرفة زينتها مقعدا وثيرا ووسادة وغطاء .
فمادت الى غرفة الزينة . وبعد بضع دقائق كانت في سبات عميق
أما جان فلم تنم . بل كانت جالسة على جانب فراشها وبفمها سيجارة
تدخنها وفي يدها كتاب تقرأ فيه :
« وهذه الحالات الخبيثة تكاد جميعها بلا استثناء تقتل المريض
بسرعة مدهشة واحيانا قبل أن تظهر أعراض المرض »
ألقت بالكتاب وأطفأت سيجارتها في مطفأة من المرمر
واستعدت للنوم . وكاد النعاس يأخذ بمعاقد أجفانها حين تذكرت
انها لم تصل فقامت في تراخ وركعت الى جانب الفراش وأخذت تصلي

الفصل التاسع عشر

أيقظت الخادمة جان الساعة الثامنة صباحا وقالت وهي تمد
لها فنجان الشكولاته :
- آه ياسيدتي . هل سمعت بالمسز مرديث
فتحت عينيها وجلست وهي تتثاءب وقالت
- سمعت بالمسز مرديث ؟ نعم . مرارا
- أتعلمين ماذا فعل بعضهم ليلة الأمس
- ماذا حدث للمسز مرديث

لقد لعب بعضهم دوراً مضحكاً في غرفتها . ان فراشها يقطر ماء

فعبست جان وقالت : يقطر ماء

- نعم ياسيدتي . لابد أنهم صبوا عليه عدة دلاء من الماء وأفرغوا زجاجة البيروكسيد التي تستعملها المسز مرديث لتجميل شعرها

- ولكن أين نامت المسز مرديث ولماذا لم توقظنا .

- نامت في غرفة زينتها . وأظن ان السيدة لم ترد أن تسبب جلبة

- ومن الذي فعل ذلك

- لست أعلم . ولا أظن ان أحداً من الخدم يجرؤ على ذلك . ولا الآنسة لسيا .

لبست جان رداءً رقيقاً وغيرت ثيابها وخرجت لفحص الأمر كانت ليديا في غرفتها ترتدي ثيابها وتغني حين دخلت جان . ونظرة واحدة الى الفراش كانت كافية . وزجاجة البيروكسيد الفارغة تقص قصتها

قالت جان : ما الذي حدث ليلة الأمس ياليديا

فالتفتت ليديا وقالت : أتقصدين ما حدث لفراشي . الله أعلم . وقد خطر لي هذا الصباح ان بعضهم من باب الرفق بي أراد أن يطهر الغرفة ولكنه بالغ في تطهيرها . وقد تذكرت قصة الطفل المريض هذا الصباح

- حقاً انه بالغ في ذلك . لا أدري ماذا تقول المسز كورل مورتيمر . أليس لديك أية فكرة . . .

- ليس لدى أقل فكرة .

- سأقابل المسز كول مورتيمر وأطلب منها تغيير فراشها .

وهناك غرفة أخرى يمكن اعطاؤها لك

ثم عادت الى جناحها من المنزل واستحمت وارتدت ثيابها على مهل ثم نزلت فوجدت أباها يقرأ صحيفة فى ظل إحدى الاشجار فى الحديقة .

قالت : لقد غيرت مشروعى

فنظر اليها من وراء نظارته وقال : لست أعلم أن لديك مشروعا

- كنت معتزمة الرجوع الى لندن وأخذك معى

- الرجوع الى لندن ؟ ظننتك أنك تنوين الاقامة شهراً

- الآن . ربما أقمت شهرا . أعطنى سيجارة

ثم أخذت كرسيا من القش وجلست الى جانبه

قال الرجل : انك تدخنين كثيرا هذه الايام

- أعلم انى أدخن كثيرا

- لماذا . هل أعصابك مضطربة

- ليس غريبا أن أرث منك اضطراب الاعصاب . ولكن أعصابى على ما يرام وانما تساعدنى السيجارة على التفكير

- أنا مضطرب الاعصاب ؟ وقد خرجت من المنزل منذ الخامسة صباحا

- ولماذا خرجت لتفعل ؟

فقال : لا تهتمي بذلك

ثم صمتا . وكل منهما يفكر فيما أنه يجري برهة ثم قال الاب :

— ألا ترين ياجان أن الأوان للعدول عن هذا والرجوع الى لندن . ان اللورد ستوكر يذوب وجداً بك

— ولكني لا أرغب فيه . ان مرتبه الذي يتناوله من الجيش وخمسمائة جنيه في العام وضيعتان مرهونتان والقصر . ليس له مقابل فما فائدة لقبه لي . ليس اللقب الا طلاء خارجيا وفضلا عن ذلك فاني ديمقراطية

— أتظنين ان المحامي يحب الفتاة

أقسم جلوفر . أظن ذلك . انني أميل الى جاك فهو ماهر وبه كل الصفات الادبية التي يعجب بها الناس . وأكاد أنا أحبه

— ولكن أيستطيع هو أن يحبك

— كلا . ان جاك كان يفضل أن يراني في مكان جيم مرديث أمام محكمة أولد بيلي . كلا . لا يمكن لجاك أن يحبني

— انه يسعى وراء ثروة ليديا على ما أظن

— لا تكن غبيا . فمثل هذا الرجل لا يسعى وراء المال . انني أتمنى موت ليديا لان ذلك يجعل الامور تستقيم

— انك تزعجيني أحيانا ياجان

— ان أمرك عجيب . كنت متأهبا للاقتناع بموت جيم مرديث فقد مات كما قتلت بالمدية المسكين أو كما يذبح القصاب النعجة اذا وصفنا

أنها أداة بالالفاظ تتزعزع وتضطرب. ماذا يهم اذا ماقتلتها الآن أو بعد خمسين عاما. انها مقضي عليها على كل حال وليست بخالدة. انكم أيها الناس تعلقون أهمية كبيرة على الحياة. أما القدماء واليابانيون في العصر الحديث. فانهم ينظرون الى الحياة نظرة صحيحة. ليس في قتل الانسان من القسوة أكثر مما في قتل الحيوان لاعداد الطعام. ولايكاد يقدم لك على المائدة لون من الطعام لم يلجأ الناس فيه الى القتل العمد لاعداده ولكننا لانفكر في ذلك. ولكن مادام الانسان يتكلم ويلبس ثيابا أنيقة ويتزين بالحلي يجعل الناس لحياته أهمية خاصة على أن قتل الانسان جائز أحيانا في نظر الناس اذا استعرت الحرب فقدسية الحياة الانسانية ليست الا خرافة اخترعها الجبناء الذين يخشون الموت مثلك

ألا تخشينه أنت ياجان.

— لست أخشى الا الحياة بغير مال. أخشى أيام العمل الطويلة بصحبة أحد أصحاب الاعمال الخالين من الاحساس ثم العودة في قطارات الترام المزدحمة الى غرفة صغيرة وأن آكل ما بقي من الأمس من الطعام البارد. أخشى القيام مبكرة لاعداد فراشي بنفسي وغسل ملابسي وتجديد قبعات العام الماضي لتكون شبيهة بقبعات هذا العام. أخشى زوجا فقيرا وسربا من الاطفال. والقيام بعمل المنزل مع خادمة جاهلة أو بلا خادمة هذه هي الاشياء التي أخشاها يامستر برجوانت.

ثم قذفت رماد سيجارتها وقالت : لم أنس حياتنا في ايلنج .
ثم نظرت نحو مونت جاولي وكأنه داخل وما يحيط به من مباهج الحياة وقالت « انه مكتوب » ثم تركته وعادت الى المنزل وانضمت الى ليديا التي كانت تخيط حبالا في ثوب من القرمز الفضي .

الفصل العشرون

قالت جان : هل وقعت على سر الفراش المثالي

فابتسمت ليديا وقالت : لم أبحث في الأمر بحثا عميقا ولكن المسز كرولي على ما يبدو استفادت كثيراً

- يحق لها ذلك . فذلك الفراش فراشها الخاص

وهذه أول اشارة فهمت منها ليديا أن المنزل كان مستأجراً مفروشاً .

وذهبوا في السيارة الى ايبس في ذلك الصباح وتذكرت ليديا ما قاله جان هاولر عن السائق فتفحصت السائق جيداً وأمعنت لها ووجدت شبها كبيراً بينه وبين ذلك السائق الذي اختطفها من الملعب . صحيح ان ذلك السائق كان ذا شوارب أما هذا فحليق الوجه ولكن الشبه موجود .

فقالت : هل هذا السائق عندكم من زمن طويل

- أتعنين موريس . نعم . صار له الآن عندنا ست أو سبع سنوات . انه يسوق السيارة في القارة لانه يحسن التكلم بالفرنسية

وهو سائق ماهر وقد حاول أبي أن يقنعه بأن يأتي الى انجلترا ولكنه يكره لندن . وقد أخبرني منذ عهد قريب أنه لم يذهب الى انجلترا منذ نحو عشر سنوات

أزال ذلك الايضاح شيئا من الشك ولكنها تذكر صوته فلما نزلوا من السيارة وجهت اليه سؤالا أجاب عليه بالفرنسية . ومن المستحيل أن يتبين الانسان نقطالتشابه في الصوت اذا اختلفت اللغة

كان الرصيف مزدحما بالمتنزهين وكانت فرقة موسيقية تعزف وكان ذلك أسبوع السباق . وتناولت الفتاتان الطعام في مطعم تجريتو . وبينما كانتا تأكلان قصد اليهما رجل عرفت ليديا أنه ماركيز ستبني . وكانت لا تشعر بميل لهذا الرجل ولو أنها لا تعرف لذلك سببا فهو دائما أنيق في ثيابه وأخلاقه على ما يرام وهو يحترمها والحقيقة أن رأس مال هذا الرجل هو تأنقه في الثياب ومهارته في المقامرة (لعب الورق) . لم تذع عنه أية فضيحة لأنه كان يختلط دائما بالطبقات الراقية .

كان ستبني دائما في أماكن المقامرة والى جانب المائدة الخضراء وكان دائما حسن الحظ فيربح . وكثيرا ما كان يذهب ببعض اللاعبين الى غرفته الخاصة أو الى مكان منعزل فيعرض بما يربحه منهم ماقد يخسره على موائد القمار العامة

قال : هل انتما ذاهبتان الى السباق . تعاليا معي وأنا أدلكما على ثلاثة من الخيل الرابحة

فقالت جان : ليس لدي نقود المقامرة ولكن ليديا تستطيع

الانتفاع بما تدفقا عليه من الخيل

فقال ماركس : أفلم يكن لديك نقود الآن لاتبتاعي . فاني أقرضتك من الكثير الذي معي . وأستطيع أن أجعلك كما تريدانه مليون في لمحة البصر .

– شكرا لك . ولكن العم مريت لا يراهن بمبالغ كبيرة

وفعلا ربحت ليديا ذلك اليوم عشرين ألفا من الفرنكات

قال المستر برجرلند : تقول ليديا أنها ربحت مبلغا كبيرا

فقالت ابنته : نعم . ربحت نحو خمسمائة من الجنيهات . وأظن أن ستيفي يضحك لها طربا . فهي لم تعلم ما هي الخيل التي راهن عليها الا بعد السباق حين جاء بعده بضعة أوراق من ذات الالف فرنك وبالطبع هي لم تربح شيئا . وما كانت العشرين ألفا من الفرنكات الا عطايا وهبات هذا المساء ليري أثر ذلك الربح

جاء ستيفي في موعده مرتديا ثياب العشاء فأغاظ ذلك المستر برجرلند لانه اضطر أن يلبس ملابس العشاء أيضا . وكان مارك ستيفنز [illegible] العشاء كما لا يجب وقد وجه اهتمامه الى المسز كول مورتيمر وبنات التين لم تلتفتا اليه مع أنهما كانتا تراقبانه . كان ينتظر فرصته

وقد جاءته الفرصة بعد العشاء عند انتقالهم الى شاطئ البحر الذي استضاءت بالقمر وأخذ الكراسي بحيث يكون هو وليديا منفردين وبحيث لا يصل صوتهما الى سائر الجماعة . وكانت جاك تتحادث مع ابيها والمسز كول مورتيمر . ولم تتحرك من مكانها

حتى رأت خيال رأس ستيني ينخفض فقامت وقصدت اليهما لم يلحظها ماركس لأنه لم يكن معتادا أن يعبر عن أفكاره الخاصة بصوت مرتفع . ولذا وصلت تناول الماعون كرسيه وجاء بآخر لنفسه

قالت فيديا : هل تعرف الآنسة برجراند فالك

فقال : كلا . أنا لا أعرف

قالت : وهل اخبرها

قال : طبعا

- كان المستر ستيني يحدثني عن لعبة في السباق غداً أستطيع أن أربح منها خمسة ملايين من الفرنكات بغير مخاطرة

فقالت جان : بغير مخاطرة الا بمليون واحد . أليس كذلك . وهل قبلت

فقالت الفتاة : كلا . لأني ليس لدي مليون من الفرنكات في فرنسا ولو كان لدي لما خاطرت به

ابتسمت جان حين رأت ما أصاب ستيني من الارتباك .

وبعد مدة أخذته من ذراعه وسارت به في الحديقة وقالت

- أظن ياماركس أنك غاية في الحمق والتغفيل

- لماذا

- لأن حيلتك دنيئة . وما هي مليون فرنك . عشرون ألفا من الجنيهات الى جانب ما يتلطخ به اسمك من الأوحال حين يعلم الناس أنك سرقتها

- ليس هناك سرقة . واؤكد لك أن فالدو من المؤكد أن يربح

الجائزة .

— اذا وضعت نقود لديها فانه لا يضيع وتتقدم اليها بالاعتذار وتخسر هي مليون فرنك . كلا يا باركس . هذه حيلة دنيئة

... ولكنني أشفقت على الافلاس

لم يخف عنها ضيقه ولا مشروعه الخبيث . كان بين الاثنين شيء من التفاهم والالفة ولو أنه غير مطلع على جرائمها الكبرى وان كان يعلم أنها تعيش على حافة القانون .

قالت الفتاة . كنت أفكر فيك وأنت جالس تقص على اقصوصتك فلماذا لا تتزوجها

فقال معقباً : أتزوجها ! انك مجنونة يا جان . انها لا تقبل

— لماذا لا تقبل . بل تقبل يا أحمق اذا اتبعت الطريق الصحيح في التقرب اليها . وثروتها تبلغ نحو ستمائة ألف من الجنيهات ولها رصيد في المصرف يبلغ مائتي ألف .

— لماذا تريدين مني أن أتزوجها . ألك مصلحة في ذلك

... مصلحة كبيرة . فلأنها ألف يمكن الوصول اليها . وقد تعطيك أكثر

— ولماذا تعطيني أكثر

... لكي تتخلص منك . انني أعرفك جيداً يا باركس . لا تستطيع امرأة في العالم أن تعاشرك طويلاً مع الابقاء على عقلها

— وتريدين أن أدفع لك كل هذا المبلغ

— كلا . لست طامعة الى هذا الحد . بل أكتفي بنصف المبلغ

فجلس صديقي على أحد مقاعد الحديقة وجلست بجانبه ثم قال: أتريدين أن نعقد اتفاقاً كتابياً بذلك فيما بيننا

— كلا. يا ماركس. فأنا ائتمنك. فإذا ساعدتك على ذلك... ويجب أن تنفذ كل ما أشير عليك به — أنا واثقة أنك تعطيني نصيحتي

— لم أخن قط عهد صديق. فأنا في غاية الاستقامة مع من يصدق معي.

— وأنت عاقل أيضاً. فإن أخلفت عهدك معي أرسلت إلى البوليس اسم وعنوان زوجتك الأخرى التي لا تزال على قيد الحياة

— ها... ماذا تقولين؟

— هيا بنا ننضم إلى السيدات.

ثم تناولت ذراعه وسارت به. كان من دواعي مسرتها أن ترى هذا الرجل الضخم يرتعش فرقاً

الفصل الحادي والعشرون

كادت ليديا تتصور أنها قد قضت سنين خارج البلاد. ولو أنها لم يمض عليها سوى ثلاثة أيام في كاب مارتين منذ أن صار صديقي يزور المنزل كل يوم.

لم تكن ليديا تسأم حديث صديقي لأنه كان ماهراً في إلقاء الفكاهات والقصص وكذلك كان رياضياً وسباحاً ماهراً فما لبث

أن أهم ما يلزم السباحة معها في البحر . حيث انضمت إليهما جان والمستر بريرلند . وكانت جان تحسن السباحة

فقالت ليديا : لم أكن أظن يا جان أن بجسمك هذا الضئيل هذه القوة الخارقة .

وقال المستر بريرلند : هنالك رجل ينظر إلينا بنظارات مقربة ثم أشار إلى الأرض المرتفعة إلى جانب الشاطئ ، ولكنهم لم يروا أحدا .

وبعد قليل رأت ليديا وميضا من الضوء ينتقل في الماء فأشارت إليه وقالت :

ـ لم أكن أظن أن مثل هذا الضوء يقع الآن إلى الجهات الجزائرية المصورة

وبإشارة من جان قصد المستر بريرلند إلى الشاطئ

وقالت جان : ذهب أبي ليبحث عن ذلك الرجل .

ثم عادت فانغمست في الماء تسبح كالأوزة أما المستر بريرلند فإنه ما وصل إلى الشاطئ حتى لبس حذاءين من المطاط ولبس معطف المطر فوق ثوب السباحة وأخذ يتسلق الأرض المرتفعة . ولما رفعت جان رأسها بعد حين وجدته قد اختفى

قالت ليديا : أين أبوك

ـ لقد ذهب إلى هذه الأدغال ليبحث عن الذي يتجسس علينا كانوا متيقنين أنه خرجنا من الماء وجلسنا على الحشائش

وقالت جان بصوت الآمر : انزل إلى الماء يا ماركس ... أو فإني أرى ليديا تغطس .

فقالت ليديا: أنا ؟ كلا. بعد أن رأيت كيف تثبين في الماء لا أجرؤ أن أثب

فقالت جيان: ما أعلمك الطريقة المثلى للوثوب في الماء. فهي منتصبة على الحافة فأطاعتها ليديا. وعادت جيان تقول:

— والآن مدي ذراعيك على مدى طولهما. والآن ......

حدث حينئذ صوت قريب، وصوت شيء يصفر من جانب رأس ليديا. ثم أصاب عودا قائما فحطمه وسقط في الماء

فامتقع وجه ليديا وقالت: ما هذا ؟

وإذ لما كانت تتكلم حتى أطلقت قذيفة أخرى. ولكن يظهر أن هذه القذيفة كانت عالية. وما لبثوا أن سمعوا صراخ ألم على الشاطئ.

لم تنتظر جيان. بل أخذت تسبح بقوة صوب الشاطئ. لم تكن الرصاصة هي التي أزعجتها. بل صراخ الألم. وبغير أن تلبس معطفا أو حذاء أسرعت تجري في الطريق الذي رأت أباها يسلكه. وفي الحال وصلت إلى دغلة صغيرة في وسطها شجرتان طويلتان من أشجار الصنوبر. بجانب بعض جذور هاتين الشجرتين وجدته ممددا إلى جانب إحداهما وهو يتنفس في صعوبة. فقلبته فوجدته قد فقد وعيه. ووجدت جرحا كبيرا في مؤخر رأسه وكان معطفه وثياب الاستحمام غارقة بالدماء

فنظرت فيما حولها تبحث عمن ضربه فلم تجد أحدا. ولا دليلا على أن شخصا ثالثا كان موجودا اليهم الا خرطوشتين لامعتين

من الرصاص ملقيين على الحشائش .

الفصل الثاني والعشرون

فذكرت ليديا مردنت أنه لم يغم عليها في حياتها سوى مرتين وقد وقعت المرتان في غضون هذه الأسابيع القليلة . ولم تشعر قط أن قواها ستخونها كما شعرت وهي تسبح في بطء الى جانب ستيفي قاصدة الى الشاطئ . ولم تسمح لنفسها بالتفكير في نجاتها من القتل بالأعجوبة . لأن الذي رماها بالرصاص كان متعمداً قتلها . ثم وصلا إلى الشاطئ .

قال ماركس : ماذا تعنين في هذا . أيمكن أن يكون بعض الجنود يتمرنون

فهزت رأسها نفياً . وعاد ماركس يقول

- أوه . أتسمحين بأن أذهب لأرى ماذا حدث

ثم انتفض في الرداء الذي أتي به وتبع أثر جان وأدركها حين كان بوبرلند يفتح عينيه . فقالت جان :

- ساعدني يا ماركس في اسناده

فأخرج ماركس منديلاً من الحرير من جيبه وقال :

- انتظري قليلاً . اعصبي جرحه بهذا أولا

فقالت : كلا . لقد نزف كل الدم الذي يمكن أن ينزفه . لا أظن أن برأسه كسراً . لقد تحسست رأسه جيداً بأصابعي

فأوه هيننغ بروفند وقال : آه . لقد كانت ضربة شديدة
فقالت الفتاة : ومن الذي ضربك
فقال وهو يعض شفتيه من الألم : لست أدري . ساعدني
ياماركس على الوقوف .
ثم وقف بمساعدة مكبني الذي قال
— ماذا حدث ؟
فقالت الفتاة : لا توجه اليه سؤالا الآن . ساعدني في الرجوع
الى المنزل .
واستدعي طبيب لضمد الجرح . ولم يسأل كيف وقعت
الاصابة . لان مثل هذه الاصابات كثيرة الحدوث في موسم كارلو
والاطباء لا يهتمون لها
وفي عصر ذلك اليوم قص بروفند قصته وهو جالس مستنداً
بالوسائد قال : شعرت ان امراً يدبر فخرجت الى الشاطىء للبحث .
وبغتة سمعت اطلاق النار على مقربة مني فاندفعت في الدغل فرأيت
رجلا يصوب مرة أخرى فأمسكت به فأطلقت البندقية ولكن
(العيار) كان طائشا
فقال مكبني : ومن هو ذلك الرجل
— أظن أنه ايطالي . وقد ضربني بكعب بندقيته فوقعت ولم
أشعر بشيء الى أن جاءت جان ووجدتني
فقالت ليديا في رعب : أتظن أنه كان يصوب النار الى
— ليس لدي شك في ذلك . وقد أدركت ذلك حين رأيت الرجل

فقالت الفتاة : كم أنا شاكرة لك : وفي الحق من الدهش أن تهاجم رجلا مسلحا بيديك المجردتين

فقال في تواضع : هذا لاشيء

وقبل العشاء اختلى بابنته لأول مرة بعد الحادث

فقالت : ما الذي حدث

- أردت ياعزيزتي أن أباغتك . وكان ذلك مشروعا من بنات أفكاري . فأنت تعيرينني بالجبن فأردت أن أثبت لك .

فقالت في اختصار : ماذا حدث

- أعددت كل شيء من أمس . اشتريت البندقية (من النوع الانجليزى) من فلاح في امبابه . وأخذت كمية من الخرطوش معها . ثم ذهبت أمس الى ذلك التل ووضعت البندقية حيث أجدها بسهولة حين احتاج اليها . وربطت نظارة في فرع إحدى الأشجار بحيث تقع عليها أشعة الشمس

- وبعد ذلك ؟

- لما ذهبنا للسباحة اليوم . انعكس ضوء الشمس على النظارة فوجدت عذرا للخروج من الماء بقصد البحث

فقالت : وهذا هو السبب في انك طلبت مني ان اجعلها تقف منتصبة .

فأحنى رأسه بالموافقة

فقالت : وبعد ذلك ؟

- ذهبت الى تلك النقطة وتناولت البندقية وصوبت . وتعلمين

إني أحتقر المضروب .

— لم تبرهن على ذلك اليوم . وأظن ان بعضهم ضربك ثم وأمسك
فاحتمل وأسمح ايجابا . وكانت كل حركة يأتي بها تؤلمه .

— ومن الذي ضربك

— لا تسألني أسئلة الغباء . لست أعلم . بل لم أشعر بالضربة .
أذكر فقط انني ضربت . ثم فقدت رشدي

— واذا فرضنا أنك مجرم . فكيف يمكنك أن تقدم إيضاحا

— هذا سهل . كنت أقول انني ذهبت للبحث عن الرجل
الذي يتجسس علينا . ثم سمعت اطلاق النار فهرولت الى الدغل
فلم أجد الا البندقية .

— وهكذا خاطرت . كان الممكن أن يراك الآخرون ولو نجحت
لجاء البوليس للتحقيق . ولتحول ما تريد أن يكون موتا بحادث
مفاجيء الى جريمة قتل عن عمد . وتصبح الصلة بعدئذ أصابع
مشروعة

فقال . لقد فقدت صوابي .

— لا تفعل ذلك مرة أخرى يا أبي . ستهلك وتهلكني . والله
يعلم أنني لم أكن أتوقع أن أحدثك هكذا يوما ما

ثم تركته وانصرفت . وجاءت المسز كريستوفر تمشي على أطرافها
كان الحادث سببا في بقائهم بالمنزل تلك الليلة . وكانت ليديا
متعبة فجلست تنوم في مقعدها . فانصرف ستيفن ساخطا
فحملت ليديا الى غرفتها . وكانت الليلة شديدة الحرارة لأن

رياح الصيف كانت تهب على ذلك الاقليم فقامت وفتحت باب الشرفة وخرجت اليها . وكان القمر في الربع الاخير من الشهر . ثم استندت على حافة الشرفة وأخذت تطل على أنوار مونت كارلو من بعيد . ثم وقع نظرها على الحديقة . فأحست أن شبحا يتنقل بين الاشجار ثم خرج الشبح من بين الاشجار ووقع عليه ضوء القمر وقد ظنت أولا أنه ماركس سختبني قد عاد . ولكن شيئا في مشيته نفى هذا الوهم . ثم سار الشبح الى أن صار تحت غرفتها ثم رفع عينيه الى فوق غرفتها .

قال الشبح هامسا : كل شيء على ما يرام ياسيدتي . انني جاجز الحجوز

فقالت همسا أيضا : وماذا تعمل هنا

أبحث ياسيدتي . أبحث

ثم تركها وسار وهو يعرج الى أن اختفى في ظلال الاشجار

الفصل الثالث والعشرون

إذن جاجز في مونت كارلو . وكانت ليديا تتعجب ماذا يعمل وكيف يسلك بين هؤلاء الناس الذين لا يعرفون سوى اللغة الفرنسية كان هذا ما تفكر فيه قبل أن يتغلب عليها النعاس

استيقظت وضوء الفجر ينتشر على البحر فنظرت الى ساعتها فوجدتها السادسة إلا ربعا . لم تدر كيف استيقظت في هذا الوقت المبكر ولكنها تذكرت فرصة أخرى استيقظت فيها ليلا لترى

الموت أمام عينيها .

قامت من الفراش وارتدت معطفا ثقيلا . ثم جلست بقرب المدفأة الكهربائية وأخذت تفكر وعادت بالمصائب الحادثة في الأوقات المتقدمة .

استعرضت ماضي حياتها في هذه الأسابيع القليلة . فلقد صارت العائلة الفقيرة غنية . ثم أحست بالآلام في أسبوعها فكرت زوجها . وموتها وبالرغم من غناها أحست أنها لم تحقق بعد إن أمثال كول موريتمر واك جيرالند لا يوثقونها . ثم اشتغل فكرها الى جاك جاوفر . لا يمكن لشاب متعلم راق أن يعادي جاك جيرالند بهذا العداء الا لأنها رفضت الزواج به . إذ جاك يعرف معنى الشرف فلا يمكن أن يرتكب أمرا دنيئا وأمثاله لا يتابعون على خطة الانتقام إلا لأسباب وجيهة . ولكن كيف تستطيع تعليل خطته .

استحمت وارتدت ملابسها ونزلت إلى الحديقة عند طلوع الشمس لم يكن أحد . ولا الخدم . قد استيقظ بعد فسارت على مهل إلى أن وصلت إلى الطريق . ثم رأت رجلا يخرج من بين الأشجار ويسير مسرعا نحو مونت كارلو

فنادت قائلة : يامستر جابز

ولكنه لم يلتفت اليها . بل زاد من سرعته . وبعد قليل من التردد أسرعت تعدو خلفه . ولما سمع صوت وقع أقدامها صرخ ا فوقف في ظل شجرة

- صباح الخير ياسيدتي

- أهكذا تسرح كالهارب ياسيدي جاجز

- لست هاربا ياسيدتي . ولكني أبحث

فقالت باسمة له : أتقضي لياليك في البحث

وبينما هما يتكلمان ، جاء جندي يركب دراجة ولما وصل اليهما ترجل وقال : صباح الخير ياسيدتي . هل هذا الرجل في خدمتكم لقد رأيته يخرج من منزلكم كل صباح

فقالت ليديا : نعم ، انه ...

فقاطعها جاجز قائلا : انني رسول بريد الضيعة وحارس البيت أيضا . والذي أدهش ليديا انه كان يتكلم الفرنسية جيداً

وقالت ليديا . نعم . نعم وهو حارس البيت أيضا

- حسنا ياسيدتي . وأرجو أن تقضوا فيها كثيرا من الأفراح

انصرف الجندي وهما يتبعانه بالنظر . ثم ضحك جاجز وقال

- لا بأس بلهجتي الفرنسية ياسيدتي . أليس كذلك

وبغير كلمة أخرى تركها وسار في أثر الجندي

فلما علمت ليديا أنه موجود وأنه يصرف الليل يحرسها ، أحست بشيء كثير من الراحة والاطمئنان . ولما عادت الى المنزل كان الخدم قد استيقظوا . أما جان فلم تظهر الا وقت الافطار ، فصرفت ليديا الوقت في التحدث مع مديرة المنزل الفرنسية وسمعت منها خبراً ما لبثت أن أبلغته الى جان بمجرد مجيئها .

- ان ابن البستاني يتماثل الى الشفاء ياجان

فقالت جاني: نعم. أعلم ذلك. فقد سألت المستشفى بالتليفون

فقالت ليديا: ان أمه لا تزال معزولة والمدام دوفيه تقول ان هذه المرأة المسكينة لا مال لديها وليس لها أصدقاء . وقد خطر لي أن أذهب الى المستشفى اليوم لأرى ماذا أستطيع أن أفعل من أجلها .

فقالت المسز كرتل مونتيمو: خير لك ألا تذهبي يا عزيزتي . ولنشكر الله الذي نجانا من العدوى ولا داعي للمخاطرة بالذهاب الى المستشفى

فقالت جاني: هراء . اذا كانت ليديا تريد الذهاب فلا مانع فادارة المستشفى تمنع المعزولين من الاختلاط بالزائرين . فليس في ذهابها أي خطر

فقال المستر برجولند: انني من رأي المسز كرتل مونتيمو . فلا تذهبي يا عزيزتي

فقالت ليديا لتغير الموضوع: تحدثت اليوم مع أحد جنود البوليس لما رجعت من مراجعة وأقبل نحوي فظننت أنه سيتكلم عن حادث اطلاق النار . أظن أن الخبر قد أبلغ الى البوليس

فقال المستر برجولند دون أن يرفع رأسه: نعم . هل ذهبت الى مونت كارلو

ـ كلا . لم أستطع النوم فخرجت لأسير قليلا فقابلت الجندي ان رجال البوليس في موناكو مؤدبون

ولم تذكر شيئا عن جاجز

ثم قالت : ماذا يظن البوليس . أقصد بالنسبة لحادث اطلاق النار

فقال : أظن أنهم كونوا رأيا . ولكن أرجو ألا تمضي الأمسية مع رجال البوليس . الحقيقة اني أخبرتهم أنك لا تعلمين أن الرصاص كان موجها لك . فاذا تكلمت معهم في الموضوع يعرفون أنني كاذب

ولما انصرفت ليديا والسير كولن مورتيمر الخادمة قالت جان

- أرأيت أن مشروعك كان منطويا على الجنون . ثم أنت تضطر في كل حين الى الكذب . وأخشى أن يكون ماركس قد ذكر الحكاية في مونت كارلو فلا يلبث رجال الشرطة أن يأتوا ويسألوا لماذا لم نبلغ الواقعة

فقال : ليتني كنت حاذقا مثلك

- لست حاذقا . بل أنت أقل جميع الناس حذقا

الفصل الرابع والعشرون

صعدت ليديا الى غرفتها فوجدت الخادمة ترتب الفراش

قالت الخادمة : نسيت ياسيدتي أن أذكر لك أمرا . وأرجو ألا تتكدري

فقالت ليديا : لا يمكن أن يكدرني شيء في صباح كهذا

فقالت الفتاة وهي تخرج شيئا من جيبها : أمس وجدت هذا

وكان « هذا » صليبا صغيرا من الفضة مصقولا لامعا فاختطفته ليديا من يدها وفحصته وعادت الفتاة تقول

لما رفعنا فراشك بعد اغراقه بالماء وجدت هذا بين الملاءات وقد تصورنا أن هذا لا يمكن أن يكون الكابيدي لأنه شيء تافه ولكن قد يكون أمرا ثمينا تحتفظين به ياسيدتي

فقالت ليديا مبهوتة : وهل وجدتموه بين الملاءات

ـ نعم ياسيدتي

ـ ليس هو لي . وقد يكون للمسز كورل مور تيمر . سأريها اياه

ذهبت بالصليب إلى النافذة فرأت حرف X منقوشا عليه . فوضعته في حقيبتها . ولما التقت بالمسز كورل مور تيمر نسيت أن تسألها عنه

ذهبت في السيارة الى نيس وحدها لأن جان لم ترغب في الذهاب معها فسرت ليديا بانفرادها . وتوجهت تواً إلى المستشفى ولم يسمح لها بالدخول إلا بصعوبة وقد أخبرها الطبيب ان الغلام في حالة لا بأس بها أما أمه فهي في قسم المعزولين

ـ هل يمكن أن أراها

نعم أيتها الآنسة . ولكن يجب أن تذكري أن هناك منضدة بينها وبينك وحاجزان من الحديد . لأنه ممنوع الاقتراب من المعزولين

فذهبوا بليديا الى غرفة هي أشبه شيء بغرف المسجونين التي يسمح فيها لذوي المسجونين بمقابلتهم . وبعد قليل جاءت راهبة بزوجة البستاني وهي امرأة طويلة القامة تتكلم بلهجة أهل مرسيليا فكانت ليديا تفهم ماتقول بكل مشقة . قالت ان ابنها آخذ في الشفاء ولكنها هي في شقاء . فليس معها نقود لتدفع ثمن ما تحتاج اليه

من الطعام . وزوجها الذي كان قد رحل الى باريس قبل نقل الغلام الى المستشفى لم يكلف خاطره بالعناية بها . وكذلك من المريح أن تصرف أيامها بين المرضى بالامراض المعدية . ثم قالت في توجع

- آه ياسيدتي . وقد أضاع ابني المسكين الهدية التي أهدته اياها الأم الصالحة وقيمته في معتقدي كبيرة . ذلك الصليب الذي بارك البابا نفسه . وهو لم يتقدم نحو الشفاء إلا لأني تركت ذلك الصليب بين ثيابه

فقالت ليديا : صليب من أي نوع

- صليب صغير من الفضة لا يساوي من الثمن شيئاً يذكر . وعليه علامة X

فتذكرت ليديا الصليب الذي وجدته الخادمة بين طيات فراشها واسترجعته من صاحبتها . ومذ رأته المرأة حتى علاها السرور وانفجرت تشكرها بحرارة

- انه هو ياسيدتي بذاته . وها هي العلامة X التي نقشتها الرئيسة بمقصها

فأعطت ليديا الصليب للراهبة وهذه أعطته للمرأة فقالت

- انه هو ياسيدتي . شكرا جزيلا . لقد أرحت قلبي الآن

خرجت ليديا من المستشفى من باب الاطباء وهي تفكر في معضلة هذا الصليب . لقد كان بين ثياب الطفل وهو راقد على أبواب الأبدية . وقد وجد بين ثنايا فراشها . اذن كان الطفل وقتاما في فراشها . وبينما هي تضع قدميها في السيارة تذكرت

الفراش المبلل . . آه . اذن وضع الطفل عمدا في فراشها لتقلق الهدوء الهنيء . وهلم بذلك بعضهم فأغرق فراشها بالماء حتى لا تنام فيه . فمن الذي أغرق الفراش بالماء . أهو جاجز الشيخ ؟

ثم عادت الى كاتب عادثين عن طريق الجرائد كورنيش . من الذي وضع الطفل في فراشها . لا يمكن أن يكون الطفل قد سار من الكوخ الى فراشها . وبينما هي في منتصف الطريق رأت رزمة في قاع السيارة فسألت السائق عنها . ولم يكن هو مودفق . بل سائق استأجرته . فقال

- هذه الرزمة من المستشفى : وقد سألني البواب ان كنت آتيا من فيللا "كاو" ؟ وقال ان بالرزمة أشياء أرسلت الى المستشفى لتطهيرها . وأجرة تطهيرها سبعة فرنكات وقد دفعتها

تناولت ليديا الرزمة فوجدت عليها عنوان المدموازيل جان برجرانس . فأحست بغصة العينين متعبة من التفكير في هذه المسألة ولكنها كانت مصممة على الوصول الى أعمق أسرارها

كانت جان في الخارج حين وصلت فحملت الرزمة الى غرفتها هي . وكانت تحاول أن تضع في ذهنها أن لا يمكن أن تدبر لها مثل هذه الجريمة الفظيعة بالرغم من الأدلة الواقعة التي تدل على ذلك . نعم . هذا مستحيل ولا بد لوجود الصليب في فراشها من ايضاح

دقت الجرس فجاءت الخادمة التي أعطتها الصليب فقالت ليديا

- خبريني أين وجد ذلك الصليب

- في فراشك يا مدموازيل

— ولكن أين . وهل كان ذلك قبل نقل الفراش البطل من هنا أم بعد ذلك

— قبل ذلك ياسيدتي . فاننا ما رفعنا الملاءات حتى وجدنا الصليب تحتها

فقالت مبتسمة : شكراً لك . وجدت صاحبة الصليب وأعدته اليها

ولم تخبر جاني . كان أول رأي أن تصرح لجاني بالحادث ولكن كان الرأي الثاني أن تسأل بحاجز . ولكن أين يمكنها أن تراه . أنه يقيم في بعض أنحاء مونت كارلو . ولكن لا يمكن أن يكون اسمه في سجل الزائرين . وبينما هي تفكر جاء ماركس ممتطياً ليذهب بها لتناول الطعام في كافيه دي باريس

كان الأمر في نظرها عجيبا مدهشا . ولكن أليست حياتها كلها في هذه الاسابيع الاخيرة عجيبة مدهشة

الفصل الخامس والعشرون

صارت ليديا تحتمل وجود ماركس من ذي قبل . كان ماركس بارعا في معرفة الطبيعة البشرية وفي ادخال السرور على سامعيه . كان جميل المنظر طويل القامة أنيق الملبس . ولكنه كان في ذلك كالتاجر الذي يجعل همه أن يسر العملاء من سلعته . فهو يعيش على حساب صفاته هذه .

قصّ تاريخ حياته عليها وهما على المائدة وقصته تجتذب القلوب وكانت هذه القصة تختلف باختلاف السامعين . فكانت هذه المرة أنه كان كاتباً مجيداً في الحياة . إذ تركه أبوه مثقلاً بالديون كانت جانيت قد أطلعته على تاريخ حياة ليديا فانتفع بها

قالت : حقاً . هذا غريب فقصة حياتك كقصتي

— أظن أن تستمر . كذلك . فأنا رجل وحيد في هذا العالم لا صديق لي إلا الذين أقابلهم في النوادي والا ماكن التي أزورها في مواعيدها الخاصة وهؤلاء لا يمكن أن يكونوا أصدقاء بالمعنى الصحيح .

فقالت ليديا في عطف : هذا ما أشعر به أنا أيضاً

— ليتني أستقر في الحياة . يكون لي منزل صغير في الريف وبضعة من رؤوس الخيل وبعض الأبقار وامرأة تفهمني .

كانت هذه خطوة خاطئة لأن الفتاة ضحكت وقالت

— وبعض من أفراخ الدجاج تجري وراءك . كلا . لا يمكن أن يتفق هذا معك فخفض عينيه وقال : يسوءني أن تظني ذلك فكل الناس يظنون أني من أهل البطالة لا أبغي في الحياة إلا ما يمكن الحصول عليه من السرور .

فقالت ليديا : وهي حياة ممتعة

أحست ليديا أن المحادثة قد تطورت إلى حديث عواطف فحاربتها بأمضى سلاح من أسلحة المرأة . ثم قالت

— والآن حدثني عن مدى عرش مراكش الذي يقوم معك

في الفندق . قد لحنه وشومان . والجرائد تكتب عنه أشياء كثيرة

فمهد المستر سمبقي وأخذ يقص عليها ما يعرفه عن مولاي حافظ .

وكان مولاي حافظ موضع تكريم فرنسا جزاء له مما أغضب الأسبان الذين يضمروا ثنالا أسه . وقد أظهرت ليفيا اهتماما كبيرا بالموضوع مما آلم سمبقي . ولما وصلا الى المنزل تركته جين وذهبت لتغير ثيابها . وقد لاحظت جين أنه قد فكر في خطوته الأولى . وما لبث أن قال

- لن يكون زواج بيننا يا جين

- لماذا تيأس بسرعة . أنفذ الفكرة

- اني أعرف النساء جيدا يا عزيزتي جين وأؤكد لك أن نصيبي مع هذه الفتاة لا يكون الا الفشل . لست غبيا

فقالت جين : لا أظنك غبيا . ولا يمكن أن تخطىء من هذه الناحية . ولم يبق الا أن تقوم بعمل وقائي

- ماذا تقصدين ؟

- اختطفها . كما كان فرسان القرون الوسطى يختطفون السيدة التي يقع عليها اختيارهم

- ما كان فرسان القرون الوسطى معرضين للمحاكمة والسجن سبع سنوات في دارتمور

- لم تذهب السيدات في الماضي الى البوليس لأنهن كن سعداء . لاسيما الرقيقات الشعور منهن اللاتي يؤثرن السكوت على الفضيحة . أظن أن غالبية النساء يفضلن الزواج على هذه

الطريقة القديمة

.. أهذا هو الاسلوب الذي تفضلينه ياجان

كان في صوته نغمة جديدة . ولو نظرت الى عينيه لرأت فيهما بريقا غريبا

ـ انما أنا أقدم نظرية صدقت مرارا على مدى الاجيال

ـ انني أتركها هي وشرودها . أليس في العالم الا امرأة واحدة ياجان . وقد قلت لك ذلك من قبل . وهذه أقدمها حياتي ونفسي

ثم قبض على ذراعها بعنف وقال : أنت تعتقدين في صحة الاسلوب القديم أسلوب سكان المغاور والكهوف . أليس كذلك ياجان ؟

لم تحاول التملص من قبضته بل قالت

ـ اترك ذراعي من فضلك يامارکس

ـ انك تحبين ذلك الاسلوب ياجان . ياإله السماء . انني أخشى نفسي من أمثالك أيها الشيطان الصغير

فقالت : كن عاقلا

وضربته على يده مرتين بسكين صغير في يدها فوثب واقفا يصرخ من الألم . ثم قال : يالك من وحش !

فقالت باسمة : كان في العالم نساء من سكان الكهوف أيضا يامارکس . أعطني منديلك لأمسح سكيني .

فنظر اليها بوجه ممتقع . وكأنه قد فقد وعيه . ولم يتحرك وهي تأخذ المنديل من جيبه وتمسح السكين وتضعها في حقيبتها ثم تعيد المنديل الى جيبه في تأن . كان واقفا والدم يقطر من

نفسه لا يستطيع حراكاً . وبعد أن ذهبت أخرج المنديل وأخذ يمسح يديه
ثم قال والدموع تكاد تطفر من عينيه

— يا لك من شيطان مريد

الفصل السادس والعشرون

لما عادت جان بوجرلند إلى المنزل وجدت في انتظارها ابنتها . أخبرتها جان أن جالك ديلاونو قد جاء بغتة من لندن وقابلها جالك برقة غير عادية

قال : ما أسعد حظكم أيها الناس بالإقامة في هذه الجهة . فالجو في لندن سيء مطير . وقد أقمت وحيداً زهاء ثلاثين سنة في لندن

فقالت .. لقد أثر عليك الجو الداكن بالبحر فيما أرى : أنك قضيت مدة في الريف أصبحت من بني الإنسان

فقال جالك : وأنت ما الذي جعلك من بني الإنسان

فقالت ليديا — أرجو ألا تتشاجرا عند أول المقابلة

أحست جان بشيء من التغير في ليديا : تلون خداها وكان في صوتها نغمة السرور . وهذا لا يخفى على جان بوجرلند الماهرة

قالت : أنا لا أتشاجر مع جالك : بل هو يخلق الشجار ويثابر عليه كم يوماً ستمكث هنا

— سأمكث يومين ثم أعود إلى عملي بالمدينة

— وهل أتيت بالمستر جابيز معك

فقال جاك مدهوشا : أليس هو هنا : لقد أرسلته منذ أسبوع
- ا ه : أهو هنا ؟ طبعا لابد أن يكون هنا

ها هي الآن تتبين حقيقة ما وقع في بعض الظروف التي أغرق الفراش . والذي ظهر من اخفاء وضرب أبا ها قد عرف الآن

وقالت ليديا : أوه يا جاك : حقا انى مهملة . لم أعطك الرزمة التى بعثت بها من المستشفى

فقال جاك : من المستشفى ؟ أية رزمة ؟

فقالت ليديا : فيها شيء بعثت به لتطهيره . سآتيك بها

ثم عادت بعد دقيقة أو اثنتين ومعها الرزمة التي وجدتها بالسيارة

فقالت جاك : لقد تذكرت . انها طنفسة كنت قد أعرتها زوجة البستاني عند مرض ولدها

ثم أعطت الرزمة للخادمة وقالت : خذيها الى غرفتي

ثم انتظرت مدة كافية الى أن وجدت عذرا وغادرت الجالسين وذهبت الى غرفتها . وفتحت الرزمة فوجدت الثوب والقبعة والقفاز والمنديل وهي الاشياء التي استعملتها حين نقلت الطفل المريض الى فراش ليديا

وضعت هذه الاشياء في قطر وتوجهت الى القبو الذي ألقت فيه هذه الاشياء وبحثت في أركانه فلم تجد شيئا بالطبع . إذن قد جمع بعض الناس هذه الاشياء من القبو وأرسلها الى المستشفى باسمها

ثم عادت فصعدت السلم وأغلقت الباب وراءها وخرجت الى

الحديقة تفكر . وما لبثت أن قالت بصوت ناعم :

— جاجز . أظن يا مستر جاجز أنه يجب أن تكون في السماء !

الفصل السابع والعشرون

قال جاك جلوفر وهو مع ليديا بانسي وقد صاعدين إلى الأوتيل :

— من هؤلاء المنحوسين الذين كانوا مع جان في (الصالون)

كانت ليديا مهمومة . وقد لحظ نغمة الأسى في صوتها

— إن جان المسكينة في هم مقيم . ويظهر أنه قد وقع لها حادث غرام مع رجل منذ ثلاث أو أربع سنوات وهو الآن يمطرها بخطابات كلها تهديد ووعيد

فقال جاك في جفاء : يا لها من مسكينة . ولكني أظن أنها تستطيع التصرف في هذه المسألة بغير معونة البوليس . أظنهم من رجال البوليس السري . هل وصل إليها خطاب من هذه الناحية حديثا

— وصل إليها خطاب هذا الصباح وضع في بريد مونت كارلو أمس

فقال جاك : يبدو ذلك . إن جان ذهبت إلى مونت كارلو أمس أليس كذلك

فقالت ليديا مؤنبة : لقد ذهبنا جميعا إلى مونت كارلو أمس لا تكن غبيا . أتريد أن تقول أن جان كتبت هذا الخطاب لنفسها

— أكان الخطاب صريحا ؟

— جدا . وهو يهددها بالقتل . أتعلم أن المستر وجرلند يظن

أن الشخص الذي كان يقتلني منذ بضعة أيام انما كان يصوب عليها هي

— لا تقولي ذلك . انك لم تخبريني أن النار أطلقت عليك . هذا سخيف فقصت عليه القصة . فلم يعلق عليها أي تعليق بل قال :

— أتذكرين قصة عدو جاك المرعب . فمن هو ؟

— انها لا تعرف اسمه . هو رجل كهل قابلته في مصر . وهو يتتبع خطواتها أيان ذهبت فأزعجها كثيرا

فقال جاك : انها لا تعرف اسمه أيه . هذا مناسب جدا

— يالك من شرير . حقا يا جاك . لقد كانت مبتسمة جدا هذا الصباح .

— وهل يحرسها البوليس حيثما ذهبت . وهل الهندي ماركس صديقي داخل في هذا الانتقام أيضا . لقد رأيته يطوف ويده معلقة في عنقه

— لقد جرحت يده وهو يجمع الأزهار البرية من أجلي في ... ولكن جاك قاطعها بالانفجار في الضحك والقهقهة

فقالت في غضب : انك ممل . آسفة لأني جئت معك

فقال جاك نادما : وأنا آسف لأني أظهرت هذه الحماقة . ولكني تصورت شكل صديقي الأنيق يجمع الأزهار وهو يلبس القبعة الكبيرة فضحكت

— ولكنه لا يلبس القبعة الكبيرة في مونت كارلو . دعنا نتكلم عن غير أصدقائي

— لم أشرع بعد في الكلام عن أصدقائك . انني آسف يا مسز

موديث ولكنني أظن كما قالت جان أن هواء الجنوب قد أثر على أنني عصبي . والعصبية متغلغلة في العائلة . فلي عمة يغمى عليها اذا رأت الشليك وعم يغمى عليه اذا رأى قطة في الغرفة

— أرجو ألا تكثر من زيارتهما

— شكراً . ولكن لا بد لي من انذار جاجز لئلا يخطئ مرة ويظنه ذلك الكهل الذي يطارد جان . يظهر ان جان تعد لجاجز المسكين نهاية غير سارة .

— لماذا تساورك هذه الظنون من جهة جان ؟

— لان لي عقل المجرمين . فهو شبيه بعقل جان . ولكن أنا أحترم القانون وأميز بين الخطأ والصواب . ففي الدنيا قوم لا يطيب لهم العيش اذا وصل اليهم قرش واحد عن طريق غير شريف وآخرون لا يهمهم إلا الحصول على المال بأية وسيلة . وأنا من الطراز الاول . أما جان .. آه لست أدري

— وما الذي يسعدك ؟ الحصول على جان ؟

لم يجب على هذا السؤال إلا بعد الوصول الى فندق الناشنال وجيلوسبيدا . قال : جان ؟ كلا . لا أريد الحصول على جان . انها مدهشة . كلما فكرت فيها أجدني لوكريشيا بورجيا لم تكن الا طفلة اذا قورنت بجان . مسكينة لوكريشيا بورجيا . ان سمعتها سيئة في الاجرام ولكن كان لها شبيه في نبوغ الجانب . كانت تبلغ محكمة التفتيش أمر الساحرات لا لشيء سوى التلذذ برؤيتهن وهن يحرقن

بالنار . أما جان فلست أجدها شريرة . فهي الأجدر التي في أعماق الناس (فيلهم) أكثر مما تجدين في قطع شمامة ناضجة . ألا يخطر ببالك أن في قطع الشمامة ما يزعج

— إذن أنت تريد أن تقول إن جان قاتلة

— نعم . هي تميل إلى القتل . لست أعلم إن كانت قتلت أحداً ولكني واثق أنها دبرت كثيراً من جرائم القتل

— ألا تزال تعتقد أنها تميل إلى قتلي

— إنني متأكد كل التأكد من ذلك . فقد اعتدى على حياتك أربع مرات في هذين الأسبوعين

— أذكرها لي . فما هي المحاولة الأولى

— حادث السيارة في شارع ركلي : أذكر أن تيوان سيمبسون حول السيارة إلى المكان الذي أنت فيه بسرعة وفي تلك اللحظة فقد أشعل المستر سيمبسون سيجارته وهو واقف على عتبة الباب وكانت هذه هي الإشارة المتفق عليها مع السائق . والمحاولة الثانية حادث الدكتور المجنون الذي ساعده المستر سيمبسون على الهرب من المستشفى : وهو الذي جاء بك إلى منزلك . فقد حصل على مفتاح مسكنك بشكل ما . وإذن جان هي التي جاءته به . ألم تتكلم معك عن المفاتيح قط

— كلا . هي ...

ثم وقفت عن الكلام لأنها ذكرت حديثاً دار بينها وبين جان عن المفاتيح

— هل أنت متأكدة أنها لم تكلمك عن مفاتيح

— نعم . أظن أنها كلمتني عن المفاتيح . وما هي المحاولة الثالثة

— هي تلويث فراشك بمرض الجدري

— وهل جان هي التي فعلت ذلك ؟ هذا مستحيل

كان الطفل في فراشك ، ورأته جاجو ، فحسب دنوي من إلقائه على الفراش

فسكتت قليلا ثم قالت : وأظن المحاولة الرابعة هي اطلاق النار علي

— نعم . فهل تصدقين الآن

— كلا . لا يمكن أن أصدق . وأظن أن هذه تهمة ضد جان قوية جدا وذلك يعين شكوكك .

لقد أصبت . (وبعد قليل) أريد يا مس مرديث أن تفعلي شيئا وأن تخبري جان بمجرد الفراغ منه

— وما هو

أريد أن تعملي وصية . لا يهمني لمن تتركين ثروتك مادمت لا تكتبينها للشخص من محبيهم

ولكني لا أحب عمل وصية . فأنا أتشاءم من ذلك .

— ولكن التشاؤم واقع إن لم تعمليها . لأن آل بوجرلند ورثاؤك الشرعيون .

— إذن أنت ترى أن هذه المكائد تقتلني إنما هي لإزالتي من الطريق ليتمتعوا بأموالي .

فأحنت رأسها موافقة . ونظرت إليه مبهوتة وقالت

— لو لم تكن صاحبا صاحب الرأس لظننت أنك من مؤلفي الروايات الخرافية . ولكن . لكي أصرفك . أنا متأهبة لعمل الوصية ولكني لست أدري لمن أترك ثروتي . وأظن أن ثروتي كبيرة

— لك في المصرف ١٦٠ ألفا من الجنيهات . وهي عبارة عن الناتج من بيع بعض الاملاك وقت أن عادت الثروة اليك : وكل من يحصل على امضائك يثق المصرف بصحة الامضاء يستطيع أن يسحب كل مليم منها .

ثم رفع نظارة مقربة وفحص الطريق

فقالت : هل أنت في انتظار أحد

— انني أنتظر جاك

— ولكننا تركناه . . . . . .

— مشغول مع رجال البوليس ؟ نعم . وهذا لا يمنع من مجيئه الى هنا لمراقبتنا . فهي تكرهني وتزعجها مناورتنا هذه

ثم انقطع الحديث لمجيء الطعام . ولما ذهب الخادم قالت

— ماذا أفعل بالمال . أعيد استثماره ؟

— نعم . ولكن الامر المهم هو عمل الوصية

ثم نظر الى (الفيرانده) . كانا منفردين فيها . فلاحظ أن أحد الابواب المؤدية اليها مفتوحا قليلا . مع أنه لم يكن مفتوحا حين دخلاها . وهو الباب المقابل للمائدة التي كانا جالسين عليها

— واذا قدم بعض الناس الى المصرف شيكا باسمي فاذا يحدث

ــ اذا كانت الحوالة بمبلغ كبير يبادر مدير البنك الى استدعائنا ، واذا وافق رينيت او وافقت انا دفع المبلغ فى الحال ، ولا خوف من هذه الناحية مطلقا ، فهناك اجراءات دقيقة للتحقيق من امضائك والظروف التى وقعت بها فيها . . .



ورأته ليديا فى تلك اللحظة يتصلب وتتجه عيناه الى الباب ، وبعد ثانية واحدة نهض دون ان يحدث صوتا ما ، وسار على اطراف اصابعه حتى بلغ الباب فدفعه على مصراعيه ، واذا به وجها لوجه أمام جان بريجرلند وهى تبتسم .

سألتها ليديا مشدوهة : كيف ومن اين جئت الى هنا ؟

واجابت جان فى تراخ : ذهبت الى نيس ، فقد كان رجال البوليس ذاهبين الى هناك ، واضطررت لتوصيلهم

وقال جاك : آه ! جئت اذن من الطريق الخلفى ، ولذلك لم ار سيارتك

فابتسمت وجلست الى المائدة وقالت : كنت تنتظرنى اذن ؟ وصلت من ثانية واحدة ، وكنت فى الواقع ممسكة بالباب اريد ان أفتحه حين دفعته انت فكدت تضربنى به فى وجهى . يا لك من رجل كالعاصفة ياجاك ! ستكون حتما من أشخاص القصة التى اكتبها

وتمالك جلوفر نفسه وقال مازحا : « ستضيفين اذن لونا جديدا الى جرائمك بأن تصبحى مؤلفة ، اليس كذلك ؟ وما اسم القصة يا آنسة بريجرلند .»

فأجابت ببرود : سيكون اسمها « مظلومة » ، وسيروى قصة روح معذبة

وكظم جاك غيظه وقال : خير ما يكتبه المرء قصة حياته، وستكون بلا ريب قصة عجيبة .!

وقالت ليديا : ستكون قصة رائعة يا جان ، ولكن لماذا لم تخبرينى بها قبل الآن ؟

وأجابت جان فى بسمة المفكر : بدات التفكير فى هذه القصة منذ سنتين ، وسأهديها الى جاك ، وبدات كتابتها منذ ثلاثة او اربعة ايام ، انظرى الى رسغى !

ومدت يدها الجميلة الى ليديا التى قالت وهى تضحك :

ــ رسغ بديع جدا ، ولكن ماذا فيه ؟

ــ لو كانت عينك عين خبير لأمكنك ان تلاحظى الورم الناتج من ضغط القلم

وقال جاك : «ان اسطورة العجوز الولهان جديرة بأن يفرد لها فصل خاص فى هذه الرواية ، ولعلك تخصصين أيضا فصلا تحت عنوان (الحوادث العرضية) . . »

فلم ترفع جان عينيها ، وقالت فى رنة أسى :

ــ لا توهن عزيمتى ، فلا بد لى من التكسب بطريقة او غيرها

وكان جاك متعجبا ومتأوها فى قرارة نفسه من ضياع المجهود الذى بذله فى تحذير تلك الفتاة التى يكاد يفنى نفسه فى سبيل حمايتها ، ومن استمرار غفلتها بعد هذا الحديث الذى سمعته ، والاحداث التى خاضتها . واذا كان النساء ممثلات بالطبيعة فان ليديا لم تكن الآن تقوم بدورها ، وتبين جلوفر انها تحب جان حبا صادقا وانها كانت تستمع الى تحذيراته منها كما يستمع المرء الى هذيان محموم ، واكد له هذا الراى انها ، بعد عودتهم الى الدار ، لم تجامله حتى بطلب بقائه لتناول العشاء معهم عندما أعلن اعتزامه الرحيل فى صبيحة اليوم التالى وانه قد لا تتاح له رؤيتها مرة ثانية قبل سفره .

وتردد جاك قليلا ثم بدأ يقول : بشأن تلك الوصية . . .

بدأ يقول : من جهة تلك الوصية ...

ثم نظر إلى وجهها فوقف الكلام على شفتيه . ثم ما لبث أن فهم كل شيء . تلمست يده فشدته . كانت تحب جاك أكثر مما كانت متأهبة للتسليم به . وأحست بالوحدة بعد فقدانه . ومن الغريب أنها رفضت في نفسها أن تفكر في وجهة نظر من جهة جان بريجولد .

فحدثته ليديا عن فراشها مفكرة تلك الليلة وقالت ما اعتبرته وجوه جان لأنها أرادت الاحتفاظ بأبيها . وقصت على أبيها ما سمعته من حديثهما إذ صرفت نحو ربع ساعة تسترق السمع قبل أن يكتشف جاك أمرها

قالت : لقد وعدته أنه يريد منها أن تعمل وصية : فإن كانت قد رفضت الفكرة الآن فإن المسألة قد وضحت في أسبوع لابد أن تنمو فلدينا الآن من الوقت ما يقرب من أسبوعين

- أظن أن كل شيء معد في رأسك بالعادة . ماهو مشروعك

- لدي ثلاثة مشروعات . اثنان منها دون أفضل لأنهما لا يحتاجان لادخال شخص ثالث .

فقال : وهل سبق أن قررت مشروعا يدخل فيه شخص ثالث

- لاداعي لهذه السخرية . ان الشخص الثالث الذي فكرت فيه هو ستيفن

ثم قصت عليه ملخص حديثها مع ماركس

فقال : ان شابا مثل ماركس لا يدفع وسيتركك تحرقين الادم

عن نصيبك . فضلا عن أن مثلك لا يخشى تهمة الزواج باثنتين

فضحكت وقالت . ليس قصدي أن أجمعك بزوجتين . إنما ألقيت له طعما ليخدعني بوسيلة أخرى

فقال : ولكنني جرحت بهذا المزح

- سأخبرك . إنه أصبح ماركسيا متعصبا . ولكنني أظن أنه قد تعلم درسه وأدرك أنني لم أخلق للزواج لاسيما برجل مثله يكسب عيشه من الغش في القمار

- لا . لا . يا عزيزتي ماذا تقولين

- لماذا تضطرب هكذا . أنت تعلم كما أعلم كيف يعيش ماركس

- إنه صديقك الحميم الآن .

- إنه بين الثلاثين والسادسة والثلاثين وأصبحت أحبه ولكنه يفهمني وفي المستقبل سيكون أكثر نفعا

ثم قامت وعدلت ثيابها . ثم قالت

- أنا مضطرة للاشتغال في روايتي . هل أنسحب لغرفتي المجاورة

- تشتغلين في ماذا ؟

- الرواية التي أؤلفها والتي لا أشك في أنها ستكون مثيرة للشعور

- رواية ؟ ما كنت أعلم أنك تؤلفين رواية

فقالت وهي تتركه مبهوتا : يوجد أشياء كثيرة لا تعرف عنها شيئا يا أبي .

لم تكن جيان تخدعه هذه المرة فكانت في غرفتها منضدة للكتابة ورزمة من الورق . ارتدت ثوبا رقيقا وجلست تكتب ولم تنقطع عن الكتابة الا في منتصف الساعة الثالثة صباحا . ثم قامت وجمعت أوراقها . ولما كانت على أهبة النوم ذكرت أن أباها يرقب المعتدي جاثما في الطابق الاسفل . فلبست حذاء رقيقا ونزلت السلم ثم قرعت باب غرفة الطعام المظلمة ففتح في الحال

قال أبوها : لماذا تقرعين الباب ، لقد أرعبتني

.. فضلت أن أقرع الباب لئلا أضرب بالرصاص ، هل سمعت شيئا أو رأيت أحداً . كانت نافذة غرفة الطعام مفتوحة وأبوها يمشي مطرقا ويحمل على كتفه بندقية

فقال : كلا ، يظهر أن المعتوه لم يأت هذه الليلة

فأحنت رأسها وقالت : خطر لي انه لا يأتي هذه الليلة

.. لست أدري كيف أرميه بالرصاص بغير أن تحدث ضجة

ـ لا تكن غبيا ، اليس البوليس على علم بأن كل الاقاصيص حيالي فهل تؤاخذ اذا رأيت رجلا متقدما في السن يجول حول المنزل فرميته بالرصاص ، أظن أنه يمكنك أن تذهب الى فراشك فهو لا يأتي هذه الليلة ، قد يأتي غدا

ثم غادرت الغرفة وصعدت الى فراشها واستغرقت في النوم

نسيت ليديا أمر الرواية الى ان رأت جيان في صباح اليوم الثاني جالسة الى منضدة في الحديقة تشتغل بنشاط

قالت ليديا : هل وجودي يعطل عملك

فقالت جان وهي تفرك معصمها : مطلقا . ولكن اليس مما يغضب ان اصل الى نقطة مثيرة ثم لا استطيع الكتابة بسبب الالم في معصمي

- هل أستطيع مساعدتك

- كلا . لست ادري انك تستطيعين عمل شيء . اللهم الا . ولكن لا . لا يمكنني أن أكلفك بذلك الشيء

- وما هو ذلك الشيء ؟

فقالت جان في تفكير : نعم . تستطيعين ولكنني أكره أن أكلفك به . فهذا الفصل ياعزيزتي يجب أن ينتهي لارسله الى لندن اليوم لاحصل على رأي صديق من الادباء : كلا . لا يمكنني تكليفك

فقالت ليديا : ولكن ماهو . لا أظن أنك تكلفينني أمرا مستحيلا

- خطر لي أن أكلفك بكتابة ما أمليه عليك . ولا يزيد على صفحتين أو ثلاث . ولست أريد أن أفقد هذه الافكار (كما يسمونها) المستعرة في رأسي الآن

فقالت ليديا : هذا في امكاني بالطبع . لست اعرف الاختزال ولكن ذلك لا يهم

- كلا . فالكتابة غير المختزلة كافية . لست سريعة في أفكاري

- وما هو موضوع هذه القطعة

- موضوعها فتاة سرقت مقدارا كبيرا من المال ثم هربت الى امريكا وهي تعيش هناك عيشة المتعة والبذخ ولكن ذكرى جريمتها تعاودها كثيرا فتقرر ان تختفي وتجعل الناس يظنون أنها أغرقت

نفسها . والحقيقة أنها ذاهبة الى الدير . وقد وصلت الى نقطة وداعها لصديقها . هل انت متاهبة

— انني على تمام الاهبة

ثم جلست على الكرسي الذي أخلته جاني وتناولت القلم الرصاص . أما جاني فصارت تذرع الحجرة ذهابا وجيئة في تفكير شأن المؤلفين . ثم وقفت تملي على الفتاة عبارات الفصل الأخيرة إلى أن وصلت الى نقطة يجب أن تكتب فيها الفتاة خطابا الى صديقها

قالت جاني : ابدأي صفحة جديدة يا عزيزتي . اتركي لي باقي هذه الصفحة فسأكتب فيه شيئا . والآن ابدأي

فأخذت ليديا تكتب ما تمليه عليها وهو :

« صديقي العزيز

لست أدري كيف أكتب لك هذا الخطاب . كان في نيتي هذه مقابلتنا الأخيرة أن أخبرك اني أبي من أناتسة . فسكوتك قوّلني أكثر من صوتك بالحادث المريع الذي جعل حياتي عبئا ثقيلا . ومالي لم يأتني بشيء من السرور . قابلت رجلا أحببته ولكن من المستحيل زواجنا . ولذا عولنا على الانتحار معا وداعا . . . »

فقالت ليديا : ولكنك قلت أنها ستختنق

— نعم . أعرف ذلك . غير أنها تريد أن تضع في ذهنه . . .

فقالت ليديا : آه . فهمنا . استمري

ثم عادت تكتب باقي الخطاب :

« اخفي في ما أنا مقدمة عليه وقد فطن ذلك من أجلي ، وحاول أن يحصل القانون لي بقدر ما استطيع . صديقتك .....

ثم قالت جانين : لست أدري ان كان لابد من امضائها أو يكفي الحروف الأولى .

فقالت ليديا : ربما انكما

— نورا مارتن ، تكفي أن تكتبي الحروف الأولى . ل . م .

فضحكت ليديا وقالت : هذه حروفي أنا أيضا . ثم ماذا

فقالت جانين : هذا يكفي الآن . انني لا أحسن الاملاء

ثم جعلت تبرئها في مناة وضمتها في غلاف وألصقتها ، وقالت

— هيا بنا نمرح في هذا اليوم في نزهة ، انني في حاجة الى شيء من التغيير .

— وهل تبقين الرسالة مفتوحة اوساخا

— سأتركها مطروحة ولو أدى ذلك الى تمني محفوظه

ثم ... بالحديقة التي كرهتها ، وأخذت تمزق الاوراق .

فوضعت الورقة التي بها خطاب الوداع في جانب ، وألقت بما فيه الجزء الذي كتبته الليلة السابقة جعلته منه ورقة . ولما خرجت ليديا مع صديقتها للاستحمام أخذت جانين الرزمة الى ... من الحديقة وأحرقته ورقة ورقة . ثم عادت الى الخطاب ففحصته ثم أطبقته ووضعته في أحد الادراج

وبينما كانت ليديا دائرة قابلت جان في منتصف الطريق فقالت جان : ... ياعزيزتي . أرجو ان تعطيني عنوان

جاك ميلوفر فى لندن

ولما عادا إلى المنزل أعطتها قلما من الرصاص وظرفا وقالت

ـ اكتبي العنوان هنا يا عزيزتي

فكتبت ليديا كما طلبت . فأخذت جان الظرف الى غرفتها ووضعت فيه الخطاب الذي امضاؤه . ل . م وختمته . كانت جان حينئذ أقرب الى الموت منها يوم أن هاجمها السائق موردن بالسيارة بشارع بوكلي

الفصل التاسع والعشرون

وفى مساء اليوم التالى وصل تلغراف من جاك ميلوفر الى ليديا وكان مرسلا من لندن وبه تقول انه آت . ولما رأت جان هذه البرقية قالت

ـ ألا تشعرين بسرور يا ليديا حين ترين أن رجالا يتولون شئونك فى لندن . وكأنه ملاك حارس . وملاك حارس آخر يطوف بمنزلك فى كاب مارتن .

ـ أتقصدين جاجز . هل رأيته

ـ كلا . لم أره . وأود أن أراه أتعرفين أين يقيم فى مونت كارلو ولما أجابت ليديا بالنفى قالت جان : أرجو أن أراه قبل ذهابي انه رجل يلفت النظر

كان المستر برجراند هو أول من لمح حارس ليديا . كان برجراند قد صرف النهار نائما . فكان فى تمام اليقظة الساعة الاولى بعد

منتصف الليل وقف جاسر في الفيرانده وهو يرتدي معطفه وعلى ركبتيه بندقيته . وفجأة رأى أشباح عدة تنتقل بسرعة في الحديقة ولكن بالبحث وجد أنها لم تكن إلا خيالات الأشجار التي تهزها الرياح . وعند الساعة الثانية صباحا رأى شبحا يخرج من بين الأشجار ويتقدم نحو المنزل . ولم يطلق الرصاص لئلا يكون أحد رجال البوليس الذين وجدوا بحراسة المنزل . فقام بخفة وسار وهو لابس حذاءه من المطاط الى أن صار في الجزء المظلم من الفيرانده . لقد كان جاسر بلا شك . إذ كان يعرج وهو يخترق المرج متجها نحو المنزل . فرفع البندقية وصوب عليه .

سمعت الفتاة صوت إطلاق النار وجرت ليليا الى الشرفة فقال المفتش بدون لفتة الى الباب : عليك يا مسز مرديث . أظن أنه لص

فقالت وهي تذكر طوافه جاسر : هل أصبته

— إن كنت أصبته أو لم أصبه فقد هرب . وأظهر أنه رآني فانطرح على الأرض

أما جان فقد لبست معطفا ونزلت حيث التقت بأبيها في المرج وقالت : هل أصبته

— أكاد أقسم انني أصبته ولكن يظهر ان ذلك الشيطان انطرح على الارض وقتا حتى تنفسها السريع قال

— لاتدعي لا تكدر يا جان . فقد فعلت ماقي وسعي

— ماقي وسعك ! لقد كان على مرمى رصاصك وتركته يفلت . لن يعود أبدا الأحمق

فقال المستر جرانت . الآن اصغي الي . اسمع . .

ولكنها اختطفت البندقية منه ونظرت الى الزناد وجرت مطرقة الزناد الى الاعلى . كان أحد الناس يخيفها . وقد شعرت بذلك فتنبهت جميع أعصابها . ورأت شبحا ابيضا . فرفعت البندقية ولكن قبل أن تطلق النار اختطفت البندقية منها . وقبل أن تصيح كانت يد ضخمة قد أطبقت على فمها وبحركة سريعة أدارتها بحيث صار ظهرها نحو مواجها . وفي لحظة كان ذراع الرجل ملتفا حول عنقها . وقال بصوت منخفض وهو يشدد الضغط

.. عليك أن تصلي الآن إحدى صلواتك

حاولت التخلص منه ولكن الرجل كان ممسكا بها كأنها طفل

قال : ستموتين . كيف تحبين الموت

اشتد الضغط على عنقها . كانت تختنق . بل تموت . والآن أحست بحبها للحياة وارتعبت من الموت رعبا شديداً . وما لبثت أن فقدت وعيها .

لما عادت الى وعيها وجدت نفسها بين ذراعي ليديا مردبث . فتحت عينيها ورأت أباها على بضع خطوات منها . وبلا وعي مدت يدها الى عنقها

ثم جلست وقالت : كيف جئت الى هنا

فقال أبوها : جئت للبحث عنك فرأيتك ملقاة على الارض

- وهل رأيت الرجل ؟

- كلا . فماذا حدث لك يا عزيزتي .

فقالت في ثباتها المعهود: لا شيء. أظن أنه أغمي عليّ. كان ذلك سخيفاً مني.

ثم وقفت وهي تترنح. ثم عادت بيدها إلى صدغها. فلاحظت ليديا ذلك.

وقالت: هل آذاك. لا يمكن أن يكون جاهز

فقالت جان: كلا لا يمكن أن يكون جاهز. أظن أنه لا بد لي من الذهاب للنوم.

لم تتوتر نعاساً. ولأول مرة في حياتها جاءها الخوف. لقد كانت على حافة هوة الموت. وارتجفت للذكرى. ثم أطفأت النور وقفزت إلى الفراش وأطلت منها. في ذلك الظلام كان عدوها رابضاً مع عاطفتها وحدة الخوف

مما أدهش ليديا أنه لم يظهر على جان أي أثر لحادث الأمس حين جاءت للإفطار. كانت عيناها واضحتين ووجهها مشرقاً كأنها نامت طول الليل.

لم تذهب ليديا للاستحمام ذلك اليوم: فكانت رحلة سفينتي إلى قمة مارتن عبثاً. وكذلك رفضت الذهاب معه إلى كازينو مونت كارلو بعد الظهر. وأحس ماركس أنه يضيع الوقت الثمين.

ورأت جان ليديا جالسة في الحديقة تكتب شيئاً. ولم تخف عنها ما تكتب.

— ماذا. تعملين وصية؟ يا لها من مهمة ثقيلة

— نعم. إنها أثقل مهمة يا جان. ولا يوجد من أترك له ثروتي

إلا أنت والمستر جلوفر

— سألتك بالله ألا تتركي شيئاً لئلا يظن جلوفر انني أنا [illegible] حياتك وما الذي يدعو لكتابة أية وصية

لم تكن ثمة حاجة لتوجيه هذا السؤال ولكنها أرادت أن تعرف ما تقول ليديا

فقالت ليديا : هكذا يفعل كل أهل الطبقة العليا . ولست أعلم شيئاً عن مصاعب الحبر في انجلترا ولو كنت أعلم لتركت ثروتي لها حتى لو [illegible] العناية بالكلاب

— اذن اتركيها لإلك جلوفر . أو لصندوق قوارب الإنقاذ

فرمقتها ليديا بالقلق وقالت : تصوري كتابة وصية في يوم جميل كهذا . وانتظار التنبؤات أين يقضي المرء . أوه .

ثم قالت فجأة : هل هو جاهز الذي رأيته بين الأشجار أمس

— كلا . لم أر أحداً . ذهبت للبحث عن اللص . ويظهر أن أعصابي كانت ثائرة فأخطأت

ولكن ليديا لم تقتنع فقالت . أنا نفسي لا أستطيع أن أفهم جاهز . . .

فقاطعت حديثها جان وقالت : أوه . أكان ينام في مسكنك ؟

فقالت ليديا مدهوشة : نعم . لماذا تسألين

— انني حمقاء . نعم . وحمقاء جداً

— لست أدري من أي ناحية جاءت الحماقة . لعلك تخبرينني

فقالت جان في سخرية : أوه . لكنني وصديقاتي متى انتهينا ندخل الى المنزل لالباس المستر كول مورتيمر الذي لا بد أن تتصور

أنا أهلناها

مر ذلك اليوم وتلك الليلة بغير حادث، وفي المساء تحدثت جاق
مع سائق سيارتها الفرنسي حديثاً هاماً ثم ذهبت الى غرفتها واغلقت
فيها. ولما ذهبت اليها وقرعت بابها لتقول لها مساء الخير لم تلق جوابا

ثاني النهار بدأ يطلع حين خرج عاجز من بين الاشجار وسار
نحو مونت كارلو ولم يكن بالطريق أحد سوى غلام حافي القدمين
يسوق حماراً محملا ويسير في نفس الاتجاه. وعلى بعد نحو ميل
اتجه نحو اليمين وبدأ يصعد أيضاً نحو الجراند كورنيش وكان على
جانبي هذا الطريق المنحدر منازل عدة. وكانت متجمعة في الجزء
المنخفض من الطريق وتقل تدريجياً كلما زاد الارتفاع. وكان الغلام
يرقب الوادي وكان يرى عاجز من حين لآخر وهو يصعد. ثم
رآه يتجه نحو منزل متهدم البناء ثم يختفي فيه.

فصعد الغلام الى ذلك المنزل وقرع الباب ففتحت فلاحة مشرقة
الوجه ولما رأت سلم الغلام قالت:

— لا حاجة بي الى ما لديك يا بني لأني مكتفية حاجتي. من أين
أنت ؟

فقال الغلام باسما: انني من سان ريمو وجئت لأسكن في
مونت كارلو لأبيع الخضر لعمي. وقد أخبرني أنني أجد مسكنا هنا.

— لدي غرفة واحدة يمكنني أن أعطيك اياها يا ولدي. وان
كنت لا أحب الايطاليين. ويجب أن تدفع لي فرنكا كل ليلة
ويمكن ايواء حمارك في حظيرة زوج أختي على بعد قريب من هنا

ثم قادت الغلام الى غرفة صغيرة تطل على الوادي .

وقالت المرأة : وهذه لرجل آخر يقيم هنا : رجل شيخ كبير ينام طوال النهار ويخرج ليلا . ولكنه رجل محترم

فقال الغلام : وأين ينام .

فأشارت الى غرفة وقالت : هنالك . وقد دخل توا الذي أحدث حركته

قال الغلام : أتستطيعين سيدتي أن تعطيني باقي هذه الورقة

ثم أبرز ورقة ذات خمسين فرنكا . فدهشت المرأة وقالت : يا لها من ثروة . لم أكن أظن أن غلاما مثلك يحوز مثل هذا المبلغ

ثم أخذت الورقة وصعدت الى فوق . وما تلاشى صوت قدميها حتى بادر الغلام الى غرفة الساكن الآخر ، ودفع الباب في رفق فانفتح لأن جاجرز لم يكن قد أغلق المزلاج بعد . واطل الى الداخل ، واكتفى بما رأى : ولما اقتربت خطواتها جاجرز من الباب هرع الى غرفة بسرعة مدهشة :

وبعد أن أخذ باقي الورقة قال : سأعود قريبا يا سيدتي . لا بد لي من الذهاب بجهازي الى مونت كارلو .

وراقبت الغلام وهو يسير بجهازه نحو الوادي ثم عادت لاعداد الافطار . لم يذهب الغلام الى مونت كارلو . بل عاد ادراجه . وعلى بعد مائة يارده من فيللا كازا قابله موردن وتناول مقود الحمار منه

وقال: هل وجدت ما تحتاجين إليه يا مدموازيل

فقالت جانيت: نعم.

ثم تركت المنزل من باب الخدم بغير أن يراها أحد، ثم خلعت القناع المستعار وبدأت تغسل آثار الأصباغ من وجهها. لقد كانت جميلة جداً هذا الصباح.

ثم قابلت أباها وقالت: عليك أن تشغل المستر دريك كل هذا الصباح.

أما هي فقد ذهبت إلى فندق بالدوين بحجة كتابة خطاب حصلت على قدر من الظروف والأوراق من أوراق الفندق "واسمه "جورج الخامس" وذهبت بها إلى المنزل. ثم استغرقت نحو ساعة أعدت فيها خطاباً. وقد استغرق الإمضاء وقتاً طويلاً، وكانت قد حصلت على الخطاب بإمضاء ميالك هاوفر من مكتبه. ثم سحبت شيكاً من أحد دفاتر الشيكات الخاص بالمستر دريك.

وبعد ظهر ذلك اليوم ذهبت مع وفق السائق في السيارة التي تركت حتى وصلت الساعة الرابعة مساء إلى باريس في طيارة. وفي صباح اليوم التالي كان في الفندق، وهو يحمل خطاباً مستعجلاً إلى السفير وبنته الهاتف على أنه لم يقدم الخطاب بنفسه لأنه كان يعرف فتاة فرنسية في السفارة كلفها بحمل الخطاب إلى المستر رنت. وقد حمله هذا الخطاب بيده وأسه مراراً قبل أن يتناول خطاباً ويكتبه إلى مصرفه بلندن. قال فيه:

«هذا الشيك صحيح. أرجو اعتماده»

الفصل الثلاثون

قالت جان برجولند: الأمراض العصبية تستدعي علاج اليأس

رفع المستر برجولند رأسه وقال: ما هذه الحكاية التي كنت تقصينها على ليديا هذا الصباح عن جلوفر وأنه يقامر. انه لم يمكث هنا أكثر من يوم واحد

- لقد مكث الوقت الكافي ليخسر مبالغ طائلة. بالطبع هو لم يقامر ولم يخسر. ولكنني أبذر البذور. فقد تفيد كلمة نافعة في وقتها

- هل أخبرت ليديا بأنه خسر مبالغ طائلة

- لست حمقاء لأقول ذلك. بل قلت أن الشباب مطالبه، وانه اذا كان في نفس المرء ميل الى المقامرة فانه ينسى مركزه ومسئولياته مهما كانت خطيرة ليرضي أمياله

فحك برجولند لحيته بيده. كانت عشروهات جان تبدو أحيانا من فهمه. كان يعلم أن كل بريد من لندن كان يحمل خطابات مستعجلة بطلب نقود منهما. انه يمد عددا من الناس بالمال وهؤلاء خدموه خدمات جليلة. واخلاصهم متوقف على دفع المال لهم

قال: سأقامر. أو أقوم بأي عمل يدعو اليه اليأس. وان لم تحصلي على عشرين ألفا من الجنيهات في الحال يا جان وقعنا في شر أعمالنا

— أظن أنني لا أدرك ذلك . هذا مادمتي لا تخفي وسيلة أكره أن أتخذها

فامسى ألبا في دهشة وهي تقص عليه ماتعلمت للحصول على المال بسرعة . ثم قال : اننا نصطدم تدريجيا في قبضة مورونة وهذا مالا نحب أحيانا

— لانتهم مورونة . فانني سأتزوجه

— ماذا ؟ تتزوجين سابقا أتيت به من سطح قذر . انك مجنونة فمورونة من الاشرار الذين يستحقون عقاب المقصلة

فقالت وهي تنظر في وجهه : ومن ذا الذي لا يستحق عقاب المقصلة

— لكن هذا جنون . لم يخطر لي قط ..

ثم سكت ليلتقط نفسه . كان مورونة قد أصبح لا يطاق . وهي تعلم ذلك أكثر من ألبا فقالت :

بدأ مورونة يتحدث عن (الحادث) الذي لم يتم . وأنت تقول أننا نصدر الى قبضته . وهو أيضا يقول ذلك تلميحا . ولما رأيت أنه قد وقع في حبي قبلت ذلك كوسيلة لامكانه . ولست أعلم ان كان يقدم على خيانتنا . وأظن أنه يفعل

— ومتى يكون هذا الحادث العظيم

— أتمنى زواجي . في مدى شهرين على ماأظن . متى يكون عيد الفصح ؟ مثل هذا الشخص يجب أن يتزوج في عيد الفصح ؟ وقد طلبت اليه أن يبقى هذا الامر طي الكتمان . وبالاخص عليك

وما كنت لأذكره لولا أنك ذكرت أننا واقعون في قبضته

- في مدى شهرين . لست أدري متى نفتهي من ذلك ياجاني

- ستنتهي قريبا جدا . فلا تجزع . وهناك شيء آخر يا أبي اذا رأيته سائرا في الحديقة هذه الليلة فلا ترمه بالرصاص . انه رجل نافع .

- انك ياجاني فوق مستوى عقلي

كان موردني يقيم في غرفتين فوق الجاراج وهذا يناسب جاني كثيراً وكان مقبول الصورة ذا شعر أسود . وكان الخدم يعتبرونه أرقى منهم . سمع خطوات جاني على السلم ففتح الباب

قالت . لقد أتيت بها ؟

- نعم . أتيت بها ياجاني

وضعت أصبعها على شفتيها وقالت . كن حريصا يافرانسوا

إن الرجل يحسن الانجليزية كما يحسن الفرنسية فان الحديث قد دار بينهما بالفرنسية . ثم قام الى محفظة كانت على الفراش وفتحها وأخرج منها خمس رزم ضخمة من الاوراق ذات الالف فرنك وقال :

- كل رزمة منها ألف ورقة . والكل خمسة ملايين من الفرنكات . استبدلت بعضها في لندن والبعض الآخر في باريس

- والمرأة . أليس منها خطر ؟

- كلا يامدموازيل . ليس معقولا أن تخونني وهي لا تعلم من أنا ولا أين أقيم . فهي فتاة قابلتها في مرقص . وهي من ذوي

السلوك الرديء وأعلن أن البوليس الفرنسي يبحث عنها ولكنها ماهرة

- وماذا قلت لها

- انني أدبر أمرا مع فرد ومونتيرون . وهما مشهوران في باريس . وقد أعطيتها خمسة آلاف فرنك اتعابا لها

- ألم تلق مشقة في الحصول على المبلغ

- بتاتا . رافقتها وهي تذهب بالخطاب الى المحامي ثم الى المصرف وبمجرد استبدال النقود قمت في طيارة من كرويدن الى باريس وكذلك من باريس الى مرسيليا .

فقالت وهي تربت يده : لقد أحسنت يافرانسوا

اقترب ليعانقها ولكنها ابتعدت عنه وقالت :

- لقد وعدت يافرنسوا . والشريف الفرنسي يحافظ على وعده فانحنى لها . لم يكن شريفا ولكنه كان يود أن تظن هذه الفتاة أنه شريف ولهذا الغرض قص عليها قصة مولده ويظهر أنها تأثرت بها

- والآن . أتفعل شيئا آخر من أجلي

- سأفعل كل شيء في العالم ياجان

- إذن اجلس واكتب . انك تحسن الفرنسية أكثر مني

قال : وماذا أكتب ؟

فأخذت تملي عليه

« عزيزتي المدموازيل

لقد عدت من لندن واعترفت المسز مرديث انني قد زورت

امضاءها على شيك وسحبت مائة ألف من الجنيهات من مصرفها

فوقف عن الكتابة وقال : لماذا أكتب هذا ياجان

- سأخبرك عن ذلك يوما ما استمر

« والآن قد عرفت أن مدام مرديث تحبني . ولانهاية لذلك الا ماتريده .

فقال : أتريدين القاء الشك على آخر . ولكن لماذا أكتب

فأوقفته عن الكلام بوضع يدها على فمه :

فقال وهو يجفف الورقة : يالك من مدهشة ياجان . حتى اذا وصل الشيك اليك ..

فقالت وهي تضع الورقة في جيبها : سيدتم بعض الناس في المتاعب

وفجأة قبل أن تدرك ماحصل كانت بين ذراعيه وشفتاه على شفتيها . وهو يقول

- جان . جان . أيتها المعبودة

فابعدته في رقة وهي تبتسم وان كانت عيناها ملتهبتين

وقالت : كلا - يافرانسوا يجب أن تصبر

ثم خرجت من الباب وأغلقته ثم نزلت على مهل وعادت الى المنزل بغير أن يشعر أحد بغيابها . كان وجهها كما يرى في المرآة هادئا ولكن كان بداخلها شيطان مريد . لم يستطع أحد أن يحصل على حب جان . ولكن استطاع رجل واحد أن يثير احساس البغض والمقت في نفسها

ومن اللحظة التي تناولت فيها منديلها فبللته ومسحت به

شفتيها وألقت به من النافذة كأنه موبوء . قضى على موردن بالموت

الفصل الحادي والثلاثون

وصل الى ليديا خطاب من جلوفر في صباح اليوم التالي قال فيه . ان سفره كان مريحا . وانه مسرور لأنه رآها وأنه يرجو أن تكون قد فكرت في أمر الوصية . ولكن ليديا لم تفكر في الوصية . بل كانت تفكر في عذر للعودة الى لندن . لأن جمال مونت كارلو انقلب فجأة قذى في عينيها .

قالت المسز كول مورتيمر : تعودين الى لندن يا عزيزتي . يالها من فكرة طائشة المدينة الآن تغطيها الثلوج ويغمرها الضباب . انني لا أسمح لك

كانت المسز كول مورتيمر مستاءة حقا . لأن بقاءها في مونت كارلو كان متوقفا على وجود ليديا . أفهمتها جان ذلك جيدا

وكان في امكان ليديا أن تلمح أنها أدركت سبب شوقها للرجوع الى العاصمة . ولما ذكرته لجان قالت هذه

- ان الريفييرا . كالحلوى التركية . لذيذة . وكلما أكلنا منها زدنا لها اشتهاء . فامكثي اسبوعا آخر فان بقيت على هذا الميل عدنا جميعا

فقالت ليديا : ومعنى ذلك انني أفسد عليكم فسحتكم

فقالت جان : كلا . فربما أحسسنا باحساسك بعد أسبوع

أسبوع ! قد يحدث كل شيء في اسبوع . في الواقع بدأت الحوادث تترى في سرعة كبيرة من ذلك اليوم بشكل لم تكن تتوقعه

كان المستر برجرلند يقرأ صحيفة ، فرفع عينيه وقال

- ان ذلك المغربي موضوع اكرام أهل نيس

فقالت ليديا : مولاي حافظ ؟ نعم انني رأيته يوم ذهبت لتناول الطعام مع صديقي . وهو رجل جليل المنظر

فقالت جان : انني لا أهتم بهؤلاء الوطنيين الملونين . أهو زنجي

فقالت ليديا : كلا . بل هو أكثر بياضا من كثيرين من أهل جنوب فرنسا . وأظن ان كل أهل الطبقة العليا من المغاربة بهذا اللون .

فقالت جان انني لا أعرف شيئا عن الاجناس البشرية وكل علمي عن المغاربة مستقى من شكسبير فظننت أنهم جميعا من الزنوج . ومن هو هذا الرجل . انني لا أقرأ الصحف

- انه المنفي لعرش مراكش . والفرنسيون يحضرونه أما الاسبان فقد جعلوا ثمنا لرأسه يدفعونه لمن يأتي به حيا أو ميتا : وهذا ما جعل العلاقات بين فرنسا واسبانيا تتوتر

فابتسمت جان وقالت : كيف تهتمين بالسياسة الدولية . أظن ذلك لأنك اشتغلت في احدى الصحف يا ليديا

وجدت جان فيما بعد أنها ستهتم بمولاي حافظ أكثر مما كانت تتصور . ذهبت الى مونت كارلو يوما لتشتري شيئا واحتاجت السيارة الى شيء من الاصلاح فذهب بها موردن الى جاراج

وسارت جان على (تراس) الكازينو متجهة نحو البحر ، وبقرب أكواخ الاستحمام رأت عدداً من الناس سمر الوجوه يلبسون جلابيب بيضاء . فتعجبت من عسى أن يكون مولاي حافظ بين هؤلاء وقد رأت بينهم رجلا ممتاز الهيئة وعلى جلبابه شارة (الجيون دونير) ولكن هيئته لم تبلغ من الاهمية ما يجعله مولاي حافظ في نظرها .

استمرت سائرة الى أن وصلت الى الساحل فرأت رجلا طويل القامة ينظر اليها كأنه يبحث عن شيء . وما صمم وقع خطواتها حتى التفت فوقفت مبهوتة حين رأت وجهه . كان أبيض اللون كالاوروبيين وان كانت عيناه وحاجباه سوادها حالكا وكذلك لحيته وشواربه . وكان يلبس تحت الجلباب الرسمي الابيض سترة رمادية قاتمة . وقد لمحت النياشين اللامعة على ثيابه قبل أن يلتقي بصاحبه . ولكن عينيه هي التي سمرتها في مكانها . كانتا كبيرتين ودا كنتي السواد كالليل وكأن أنفه وسائر وجهه يدل على وجاهة وعظمة . فعرفت جان بالغريزة أنها الآن أمام مدعي عرش مراكش

وقفا برهة ينظر كل منهما الى وجه الآخر ثم تحرك المراكشي من مكانه

وقال : عفواً . أظن انني أخفتك

كانت جان تتنفس بسرعة . لم تقابل في حياتها رجلا أثر مرآه في نفسها هذا التأثير السريع فنسيت احتقارها للوطنيين الملونين كما نسيت جنسيته ودينه (والدين لدى جان كان هاما) نسيت

كل شيء إلا أن وراء هاتين العينين شيئا قريبا الى نفسها .
كلمها أولا بالفرنسية ثم بدأ يكلمها بالانجليزية
قال : انك انجليزية بالطبع
- انني اسقوتلندية (سكوتلندية)
- أظن لا أفرق بينهما
كانت انجليزيتة صحيحة وصوته صوت من تعلم باحدى الكليات
قالت : أنت مولاي حافظ . أليس كذلك . لقد قرأت كثيرا عنك بالجرائد
فضحك وقال : انني أثرت اهتمام الدول . (وبعد قليل) أنت أول فتاة تتكلم الانجليزية قابلتها منذ نزولي في فرنسا
فقالت : وأنت تتكلم الانجليزية كالانجليز
- لقد كنت في اكسفورد . وكان أخي في هارفارد . لان أبي وهو شقيق السلطان السابق كان يعتقد في صلاحية طرق التعليم الاوربية .
ثم أشار الى الرمل وقال : ألا تجلسين
ترددت نحو ثانية ثم جلست على الرمال وجلس هو الى جانبها
قال : قضيت في فرنسا أربع سنوات وهذا هو السبب في انني أتكلم الفرنسية كما أتكلم الانجليزية . هل تتكلمين العربية .
- لست أتكلمها جيدا . هل ستقيم هنا طويلا
- سأسافر هذه الليلة . وان كان هذا لا يعلم به أحد
ثم شرع يتكلم عن مراكش وتاريخها ويذكر لها أسماء أمرائها

وتاريخ كل عائلة حكمتها . ولم يذكر الا تلميحا نصيبه فى الثورة التي كادت تؤدي إلى حرب أوربية

قال : اغتصب عمي التاج بعد أن قتل أبي . ونحن قبضنا على ولديه

- وماذا حدث لهما

- أوه قتلناهما . شنقناهما على باب خيمتي . هل هذا يرعبك

فهزت رأسها نفيا

فقال : أتؤمنين أن الواجب أن يقتل الانسان عدوه

فقالت : لم لا . هذا هو الامر المنطقي الوحيد

- لقد انضم أخي الى السلطان الحـالي . فان قبضت عليه شنقته أيضا

- وان قبض هو عليك

- يشنقني أيضا . هذه هي القاعدة

ماأغرب ذلك

قال : أتظنين ذلك . ربما من وجهة النظر الاوربية ..

فأوقفته قائلة : كلا . لم أكن أفكر في ذلك من هذه الناحية أنت رجل منطقي وتسير على قواعد المنطق . وهكذا أفعل أنا بأعدائي

قال باسما : هذا ان كان لك أعداء

- نعم . ان كان لي أعداء . خبرني . ماذا أدهشك المستر مولاى أم اللورد مولاى

- ان كان لابد من لقب فادعني وزير

— الآن قل لي يا وزير . اذا كان بعض الناس يملكون شيئا أنت في حاجة شديدة اليه وفي قدرتك القضاء عليهم . هل تفعل

فقال : بلا شك أقضي عليهم ولا داعي للسؤال

فقالت : يسرني أني قابلتك هذا المساء . لا بد أن يكون العيش في ذلك الجو عجيبا . أعني جو السلطة والقوة حيث لا يحكم الناس وسائل الضغط والاستكانة الاوروبية

فضحك وقال : اذن قد مللت حضارتكم الاوروبية . تعالي الى مدينتي الصغيرة بين التلال فهناك القانون هو سيف مولاي حافظ

ثم وقف وساعدها على الوقوف

فقالت وهي تمد يدها له : انى أعني أن أذهب

فتناول يدها على الطريقة الاوروبية وانحنى فوقها . وكانت الفتاة الى جانبه شيئا ضئيلا . فهي لم تصل في الطول الى كتفه

وقالت : أستودعك الله

ثم التفتت وعادت أدراجها ووقف يرقبها الى أن توارت عن نظره

الفصل الثاني والثمانون

« جان »

التفتت الى الخلف فرأت ماركس يتبعني والحنق باد على وجهه

قال : حقا لقد تجاوزت الحدود . أعلم أنك تستطيعين عمل أشياء كثيرة الا أن تقفي في ضوء النهار تتكلمين مع زنجي ...

قالت : أفأ وقفت في ضوء النهار يامارکس أتكلم مع قماش في أسيد القهاوي ؟ أكون قد بلغت من الانحطاط أني لا أسمح بأن أفعل كل شيء ؟

قال في غيظ : زنجي مغربي ملعون .

فقالت : سر الى جانبي واخفض صوتك كما يفعل المهذبون حين يتكلمون مع السيدات .

فسارا معا الى أن وصلا الى كافيه دي باريس التي كانت حينئذ مكتظة بالذين يحضرون لتناول الشاي بعد الظهر ، فبحثت حتى عثرت على ركن هادئ . وكان حينئذ قد فارقه غضبه وجزء من شجاعته

فقال معتذرا : ليس لي غرض الا الدفاع عن سمعتك يا جان فلا أريد أن يعلم الناس أنك كنت تتكلمين مع زنجي أقل من طبقتنا

— الى أي طبقة تشير وأنت تقول « طبقتنا » فان كنت تشير الى طبقتك التي أعرفها فانه مما يحقرني ويصغر من شأني أن أنال اعجابها

فقال : أوه . ما هذا الغضب .

فقالت : ظننت أنني بينت لك الامر في وضوح . وأرجو أن يبقى أثر الدرس في بدك الى يوم مماتك . فليس لك أن تسيطر على حياتي أو تنتقد تصرفاتي . ان ذلك الزنجي الذي تتكلم عنه يامارکس أرقى منك بكثير . لانه من أصل عريق . وهذا ما حرمك الله منه .

وحينذاك جاء الخادم بالشاي فانتقل الكلام الى موضوعات أقل أهمية .

قال معتذرا : لست في حالتي الطبيعية لأني خسرت ستة الاف جنيه أمس .

- اذن لديك ستة الاف سبب لاستبقاء مودتي

- هل تشيرين الى مشروعي مع المعز مرديث وخطفها . انه مستحيل

- عليك أن تحاول . لقد أخبرتك أنه ممكن

فقال بعد شيء من التفكير : سأحاول غدا . نعم . سأحاول غدا

كانت على وشك أن تقول « ليس غدا » ولكنها منعت نفسها

ثم جاء موردن بالسيارة لاخذها : موردن .. اكم كانت عمته . غير أن مقابلتها لذلك المغربي قد أعطتها راحة غريبة وشجاعة عظيمة .

قالت ليديا : هل قابلت ولاي . ماذا يشبه ياجان . هل هو زنجي

فقالت جان : كلا . ليس زنجيا . بل هو رجل جم الذكاء

فقال أبوها : ولكن كيف قابلته ياعزيزتي

.. لقد عثرت عليه على ساحل البحر

فقال : يسوؤني أن تتكلمي هكذا . من الذي قدمه لك .

.. لقد أخبرتك . قدمت نفسي اليه . وجلسنا على الشاطئ وتكلمنا عن حياة كل منا .

فقالت ليديا معجبة : هذا اقدام منك ياجان

أقيم مرقص بالملعب تلك الليلة وذهب الجميع اليه . وكانوا في

(لوج) وقبل فترة الراحة فتح (لوج) في الناحية المقابلة ثم دخل شخص والكل يقدم الاحترام له : فعلمت ليديا أنه لابد أن يكون مولاي حافظ حتى لو كانت لم تر ذلك الطربوش الأحمر والجلباب الأبيض

فقالت بصوت منخفض . هذا مولاي

فالتفتت جان . وكان مولاي حافظ ينظر اليها . وما تقابل النظر ان حتى انحني لها قليلا

فقال المسيو برجرلند : لماذا ينحني هذا الرجل : أرجو الا تعيروه التفاتا ياجان..

فقالت الفتاة . لقد انحنيت له . لا تكن غبيا يا أبي . ان معرفته بي تزيدني شرفا . انه لم يوجه تحية لا مدموازيل ، ألا ترى مزية ذلك

لم تر ليديا جيدا لانه كان دائما في ظل ستار . كانت ترى وجهه الابيض ولحيته السوداء . تلفتت جان الترى ان كان ماركس سمبني حاضرا مؤملة أن يكون قد رأى تبادل التحية . ولكن ماركس كان حينئذ ينظر الى الالف الفرنكات التي على المائدة الخضراء .

لما عادوا الى المنزل كانت جان آخر من ترك السيارة فخاطبها موردق باحترام

قال : عفوا يامدموازيل . ولكني أرجو أن تصحبي على الجاراج لرؤية العجلات الجديدة فاني أراها غير جيدة

كانت هذه العبارة هي المصطلح عليها بينهما ان كان في حاجة اليها

فقالت : حسنا يامورون . سأتي فيما بعد

فقال أبوها عابسا : ماالذي يريده مورون بنك

- لقد سمعته . انه لايوافق على العجلات التي وصلت أخيراً ولا تعاً لني أسئلة فمندي صداع وأنا في حاجة شديدة لفنجان من الشكولاته

- سيندم هذا الرجل ان سبب لك أي متاعب . والعجيب في ياجان أن أخبرك أن فكرة زواجك من . . .

لم تفعل شيئا سوى النظر اليه . ففهم معنى النظرة وانقطع من الكلام

فقال بعد قليل : لاأريد التدخل في شئونك الخاصة . ولكن مجرد التفكير في ذلك الأمر يؤدي بي الى الجنون

انتظرت جان وقتا معقولا ثم تسللت الى الخارج . وكان مورون ينتظرها عند باب الجاراج المفتوح . ولم تره واقفا الا حين صارت قيد خطوات قليلة منه لأن المكان كان مظلما .

قال : تعالي الى غرفتي فوق

- ماذا تريد ؟

- أريد أن أتحدث معك . وليس هذا المكان ملائما

فقالت وهي تؤنبه : هذا هو المكان الوحيد الذي أستطيع أن أسمع كلامك فيه يافرانسوا . ألا تدرك أن أبي على مسمع منا وقد تخرج مدام موريث في أي لحظة فكيف أعلل وجودي في غرفتك

فقال بصوت مضطرب . انني قلق ياجان . لست أفهم مشروعاتك

فهي فوق مستوى عقلي . وقد عرفت كثيرين من النوابغ في سماك العظيم . . . .

فقالت في برود : لقد مات برسماك العظيم . وقد بلغ من نبوغه أنه قتل بسكين وفضلا عن ذلك فليس من الضروري أن تفهم مشروعاتي يافرانسوا !

- لست أفهم معنى للخطاب الذي كتبته بناء على طلبك . الخطاب الذي أذكر فيه أن مدام مرديث تحبني . لقد فكرت في هذا الموضوع ياجان ورأيت أن هذا الخطاب يؤدي الى اتهامي

فضحكت وقالت : يالك من مسكين يافرانسوا من يتهمك . لقد سلمت الخطاب الى من ستكون يوما ما زوجة لك . فما الذي يهم

سكت قليلا ثم قال في شيء من الخشونة

- لاأستطيع الكلام هنا . ولابد من مجيئك الى غرفتي

ترددت قليلا ولكن كان في صوته غنة لم تعجبها . فرضيت وتبعته الى غرفته .

الفصل الثالث والثلاثون

قال بصوت الآمر : الآن وضحي الأمر لي

- سأوضح لك الأمر يافرانسوا ولكن لاتعجبني لهجة كلامك لست أقصد بهذا الخطاب اتهامك أنت . بل اتهام المستر مرديث كتبت في هذا الخطاب انني راحل واعترفت لك انني زورت

شيكا بخمسة ملايين من الفرنكات . فهذا الخطاب مستند جليل الخطر يامدموازيل ولا يجوز أن يكون في حوزة أي انسان غيري أنا

ـ ستتضح لك جلية الأمر غداً يافرانسوا . والواقع أنه لا يوجد مايدعو الى القلق وأنا أرغب في الفراغ من هذه الحالة التعسة من جهتي أنا ؟

ـ كلا . بل من جهة المسز مرديث . وأنا أيضا قد مللت الانتظار ولابد لي من الزواج وسأطلب من أبي الاذن بالزواج في الأسبوع المقبل . وفي الواقع كتبت لقنصل انجلترا في نيس لاعداد مايلزم لهذا الزواج

أحمر وجه الرجل وقال : هل أنت مجدة في ذلك ياجاني . الا تخدعيني

ـ كلا يافرانسوا . كيف أخدعك في أمر كهذا يهمني كثيرا

ـ اذن ردي الى الخطاب الذي كتبته أمس ياجاني

سأرده اليك غداً

ـ بل هذه الليلة . أنا واثق من صحة رأيي . من الخطر أن يبقى هذا الخطاب في الوجود خطر علي وعليك . ألا تعطينني اياه هذه الليلة

قالت : انه في غرفتي

كانت كاذبة بالطبع . اتجهت عيناه الى حقيبتها وقال مشيراً الى الحقيبة .

ـ انه هنا . افعلي ياحبيبتي ما أطلبه . كلما فكرت في هذا الخطاب يبرد دمي في عروقي . لقد كنت مجنونا حين كتبته

— ولكنه ليس معى هنا

ثم حاولت التقهقر ولكنه كان أسرع منها . قبض على معصمها واغتصب الحقيبة من يدها وقال

— أرجوك عفوا . فأنا واثق من صحة ماأقول ..

ولكنها انقضت عليه كاللبؤة واختطفت الحقيبة من يده . ولشدة هجومها ألقت به على ظهره على الفراش

فحدق فيها ببصره وقد استقام وجهه حتى حاكى وجوه الاموات

ثم قال : ماذا اعتزمت أن تفعلى

— ماأقاله فى الصباح يافرانسوا

ثم أدارت وجهها وتركته منصرفة ولكنها ماوصلت الى قمة السلم حتى طوقها بذراعه وجرها الى الغرفة وقال

— آه ياصديقتى . ان فى هذا الامر مايؤذينى

فصرخت تقول « اتركنى » وصفعته على وجهه

ظلا يتكافحان نحو دقيقة . ثم فتح الباب ودخل المستر برجرلند ولما رأى موردن وجهه المنتقم أرخى قبضته عنها

قال برجرلند : أيها الخنزير

ثم لكمه لكمة ألقت به على الارض . فدارت رأس موردن أولا ولكنه مالبث ان انقلب على جانبه وأخرج مسدسا من جيبه الخلفى ولكن قبل اطلاقه اختطفته جبانى من يده

وقال برجرلند : قم . وضح لى ياصديقى معنى هذا الهجوم الهائل على مدموازيل

قام الرجل ونفض الغبار عن نفسه . وكان في وجهه ماينذر بشر مستطير . وقبل أن يتكلم تدخلت جان في الامر

قالت : ليس لك الحق يا أبي أن تضرب فرنسوا

فقال برجرلند في غيظ شديد : فرنسوا !..

- نعم . فرنسوا . ويجب أن تعلم انني وفرنسوا سنتزوج في الاسبوع المقبل

- ماذا تقولين

- نعم سنتزوج . ومارأيته من الشجار بيننا ليس من شأنه ذلك

كان تأثير هذه العبارة على موردن كالسحر . زالت العبوسة عن وجهه . وصار بصره يتنقل من الفتاة الى أبيها كانه لا يصدق أذنيه

واستمرت تقول : انني وفرنسوا نحب بعضنا . وقد تشاجرنا اليوم لاسباب لاتختص أحدا سوانا

قال أبوها : تتزوجينه - الاسبوع - القادم ؟ تالله لن يكون ذلك

فرفعت يدها وقالت : جاء تدخلك متأخرا يا أبي . سنسير أنا وفرنسوا في طريقنا . ونقبل المقدور علينا . ويسوؤني انك لاتوافق لانك كنت دائما أبا شفيقا على

والآن فقط خطر لبرجرلند ان كلمات ابنته تحتمل معنى آخر فهدأ وقال

لا بأس . ولا يمكنني ان اقول الا انني اعارض بشدة في مشروع زواجك . ولكنني مصمم على ان تعودي معي حالا الى المنزل . لا اريد ان يتكلم الناس بالسوء على ابنتي

التفتت الى موردن وقالت : سارك في بكرة صباح الغد يافرنسوا . فتذهب بي الى نيس لانني ارغب في شراء بعض الاشياء فانحنى لها ومد يده ليأخذ المسدس الذي أخذته منه . فنظرت الى المسدس الصغير وماسورته المفضضة ومقبضه العاجي الجميل. ثم قالت باسمة :

ـ لن اقتمنك على هذا المسدس الليلة يافرنسوا . مساء الخير

فتناول يدها وقبلها وقال : مساء الخير ياجان

ثم التقت عيناهما . ثم التفتت كأنها لا تجرؤ ان تطيل النظر اليه . ثم تبعت اباها وزلا . ولما وصلا الى منتصف الطريق الى المنزل وضعت يدها على كتف ابيها وقالت :

ـ احتفظ بهذا . انه مسدس فرانسوا واظن انه محشو وقد رأيت بعض الحروف على قبضته العاجيه واعتقد انها حروف اسم موردن

فوضعه في جيبه وقال : وماذا تريدين ان افعل به

فضحكت وقالت : في طريقك الى غرفة نومك هذه الليلة عرج على غرفتي فلدي شيء كثير اريد ان اقوله لك

ثم دخلا غرفة الجلوس فوجدا المستر كولي مورتيمر تعلم ليديا مبادىء البيزيك

فقالت ليديا وهي ترمي الاوراق من يدها : اين كنت ياجان

ـ كنت اعد لك مفاجأة جديدة . ولكنني لا اعلم ان كانت تهمك . لان الامر يتوقف على حالة قلبك

فقالت ليديا : ان قلبي سليم . وما هي هذه المفاجأة الهامة

- هل تحبين أحداً

- أحب أحداً ؟ كلا

- هذا أفضل . وستكون المفاجأة لذيذة . فان كنت غير مغرمة بأحد وتجلسين على كرسي الغرام فان اسم زوجك العتيد يخطر ببالك . اما اذا كنت مغرمة فان المسألة تتعقد قليلا

وان كنت لا اريد معرفة اسم زوجي العتيد

- اذن لا تكونين من بني الانسان

- وأين هذا الكرسي السحري ؟

- انه في طريق سان ريمو وراء محطة الحدود . الم تذهبي الى هناك يامرجريت

فقالت المسز كول مورتيمر : نعم . ذهبت مرة

وقالت جان : انه في مكان منعزل يبعد اميالا عن مساكن الناس

- وهل أنتويت ان تاخذيني اليه

كلا . لان هذا يفسد التعويذة ياعزيزتي . عليك ان تذهبي منفردة

فقالت ليديا : ساحاول . هل يقتضي الانسان طويلا للوصول اليه

- أظن انه بعيد . سيذهب بك موردن في السيارة . انه يعرف الطريق . ويجب الا يذهب معك أحد سوى سائق خبير . وعندي تصريح لسيارتي بالمرور من الحدود . وربما قابلت أبي في سان ريمو فهو ذاهب الى هناك للنزهة على (موتوسيكل) أليس كذلك يا أبي

فتنفس بوجولنيه تنفسا طويلا وأحنى رأسه لقد بدأ يفهم

الفصل الرابع والثمانون

كان في ثغر مونا كو يخت أبيض اللون له سارية قصيرة اسمه (جنجل كوين) وهو ملك لرجل انجليزى فقير كان يربح من تأجيره للناس. وقد عجبت المسز كول مورتيمر لانخفاض الاجر المطلوب منه لمدة شهرين الى أن رأته عند مجيئها الى كاب مارتين. كانت تتصور أنه يخت كبير مقسم. ولكنها وجدته (لانش) ذا محرك متوسط الحجم وبه غرفة صغيرة واحدة في مؤخره. أما وصفه الذي ذكر في اعلان الوكلاء عن صاحبه بأنه يسع أربعة ينامون على ظهره فيستدعى أن يكون هؤلاء الاربعة في شدة السكر أو التخدير. فهو لا يكاد يسع اثنين.

وأحست جان أيضا عند رؤيته أنها قد أضاعت النقود التى دفعتها أجرة له. فصرفت الشاب الذي يقوم بادارة آلاته

أما المستر ماركس ستبنى فكان مغرما بالرياضة حيث وجد اليها سبيلا مادام ذلك على حساب الغير. ولذا كان هو الشخص الوحيد الذي انتفع بهذا اليخت. فكان يخرج كل يوم باليخت الى عرض البحر لمدة ساعتين وكان أحيانا يأخذ معه صديقا يؤمل أن ينال ربحا من ورائه.

وكان حديث جان عن اختطاف ليديا قد ترك في نفسه أثرا.

كانت الظروف تماً كسه اذ نضب معين الأغنياء والشبان الذين كانوا يقعون بين براثنه. وكان يخسر كثيراً في اللعب على المائدة العامة

والمعلوم أن من يعيشون خارج دائرة القانون يلزمون طريقة واحدة لا يتعدونها. فقلما يرتكب النصابون عملا من أعمال العنف. وكان ستيفن يعيش على حساب أصحابه الرزق وبنيه الماهرين.

على أن فكرة اختطاف ليديا راقت له وكانت له خطة مع الفساه يثق في نجاحها. وإن كانت هذه الثقة قد تزعزعت بوحشية جبان وعدم اكتراث ليديا الا أنه كان يؤمل أن تخضع الفتاة اذا هو لجأ الى الوسائل الصحيحة. فلما تكبد خسائر كبيرة في النادي ليلة جمع ما بقى له من شجاعة وذهب إلى فيلا كازا. وقد وصل مبكرا ولكن ليديا كانت فرغت من الافطار فتألمت لرؤيته وقالت

ـ لست مغترمة الاستحمام اليوم يامستر ستيفن. وكذا أنت على مايظهر.

كان يرتدي سراويل بيضاء وحذاء أبيض وسترة ضابط بحري ذات أزرار صفراء وعلى رأسه قبعة بحار. فقال

ـ كلا. انني ذاهب لصيد السمك وزعمت أنك تتكرمين بمصاحبتي

أنا آسفة. انني مرتبطة بموعد آخر هذا الصباح

ـ ألا يمكنك التخلص من ذلك الموعد اكراما لي لقد أعددت كل شيء وعندي يخت جميل. وقد وعدت بالذهاب معي لصيد السمك يوما ما

ـ أود الذهاب معك. ولكن لا بد لي من القيام بأمر هام اليوم

– سأعود بك في الوقت المناسب . فتعالي ، لا تقصدي في يومي

جاءت جان وهما يتكلمان وقالت : أنا واثقة أن ليديا لا يمكن أن تكون قاسية . ما الذي عرضه عليك يا ليديا

– المستر ستيفي يدعوني الى الذهاب معه في اليخت

– يسرني أن تسميه يختاً . أنت ثاني شخص يسميه يختاً بعد الوكيل الذي اجره . لا بأس . خذها غدا يا ماركس

فقال : حسنا . رأيتك صباح اليوم مسرعة الى نيس مع ما أقلقك أصفر الوجه يا جان

– وهل استيقظت مبكراً اليوم يا ماركس

– كنت أطل من النافذة فرأيتكما . انني لا أحب هذا الرجل

– خير لك أن لا يعلم بكرهك له : لأنه رفيق الشعوب وهناك كثيرون لا يحبونهم يا ماركس

– لا أظن أنك مصيبة في تخويله كثيراً من الحرية . فهؤلاء الفرنسيون ينطبق عليهم المثل القائل « لا تطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع »

فقالت : أظن ذلك . كيف حال يدك يا ماركس

– انها في خير حال .

وما لبث أن عاد الى موناكو وقلبه يلتهب غيظا .

كان حديث جان مع دوردن ذلك الصباح غير مرض تمام الرضى فجهدت في تسكين شكوكه ولكنه كان يلح في الحصول على الخطاب فوعدت أن تعطيه اياه ذلك المساء : وقالت

- انك ياعزيزي شديد الاندفاع سريع الغضب. لقد تشاجرت مع أبي أمس لأنه يريد أن أفسخ خطبتنا وقال ان خطبتنا ستخلي عني

- وماذا فعلت أنت . أنت جان .

- قلت أن هذا لا يهمني . فأنا أعلم انني لن أكون سعيدة ألا معك يافرانسوا وأنا متأهبة أن أحتمل سخرية الناس ومقت أبي من أجلك

حاول أن يمسك بيدها وأن كانا في الطريق العام الا أنها قالت

- حذار يافرانسوا . تذكر أنك لن تنتظر طويلا

- انني لا أكاد أصدق . وكثيراً ما خطر لي أنه سيحدث لي أمر عظيم : وقد خاطرت كثيراً من أجلك ياجان . كدت أقتل مدام في لندن لولا أنها رفعت من طريقي على يد ذلك العجوز . وكنت أرقبك حين كان الرجل مريضا ...

فقاطعته قائلة : صه . لنتكلم عن شيء اخر

قال : هل ألقى أباك . انني آسف على ماحدث أمس

- لقد ذهب أبي للنزهة في (مونتوسيكل) . كلا . لا أرى داعيا للكلام معه . سيعود الى الصواب في الوقت المناسب يافرنسوا : انك تدرك مقدار ألمه لانه كان يؤمل أن أتزوج من رجل عظيم .

فأحنى رأسه ووقف بها على باب الجاراج

قالت . تذكر أنك ستذهب بالمستر مرديث الى كرسى الغرام الساعة العاشرة ونصف . أتعرف المكان

– نعم . أعرفه جيداً . ولكن لماذا تذهب اليه . كنت أظن أن الطبقات المنحطة هي التي تذهب اليه

– يجب ألا تخبرها بذلك : وأنا نفسي ذهبت اليه

– وفيمن كنت تفكرين ياجان حين جلست عليه

خفضت عينيها وقالت : لن أخبرك الآن

وقف فرانسوا يحدق فيها النظر الى أن اختفت عن عينيه ثم التفت الى عمله .

الفصل الخامس والثلاثون

كانت ليديا ترتدي ثيابها للذهاب الى رحلتها حين دخلت المسز كول مونتيمر فوجدت جان تكتب شيئاً . فقالت

– يريد بعضهم أن يتكلم بالتليفون مع ليديا من مونت كارلو

فقامت جان وقالت : سأتكلم بالنيابة عنها

كان صوت المتكلم أجش ولا عهد لها به

– أريد أن أتكلم مع المسز هرديث

– من أنت

– أحد أصدقائها . أرجو اخبارها . الامر هام

فقالت جان : انني اسفة . لقد خرجت الآن

– أتعرفين أين ذهبت

– أظنها ذهبت الى مونت كارلو

- ان لم أقابلها أتذكرين باخبارها الا تخرج قبل مجيئي الى المنزل
فقالت جان : من غير شك
ثم اعادت السماعة الى موضعها . جاءت ليديا حينئذ وقالت
- هل الرسالة التليفونية لي
- نعم يا عزيزتي . انه ماركس ستبني وأخبرته انك قد خرجت
هل تريدين التكلم معه
كلا . وحق السماء . ألا تأتين معي
فقالت جان : كلا . أفضل البقاء هنا
كانت السيارة على الباب . وموردن واقفا الى جانب بابها
المفتوح
وقالت ليديا : كم من الزمن تستغرق رحلتي
- نحو ساعتين يا عزيزتي وستشعرين بجوع شديد عند عودتك
راقبت جان العربة الى أن اختفت عن النظر ثم عادت الى
(الصالون) وما كادت تجلس حتى قرع جرس التليفون فسمعت
المستر كول مورتيمر اليه
- لم تذهب المسز مرديث الى مونت كارلو . لم يرأحد سيارتها
في الطريق
فقالت جان في رقة : هل أنت المستر جاجز
- نعم أيتها الآنسة
قد عادت المسز مرديث الآن . انني آسفة . كنت أظنها
ذهبت الى مونت كارلو . وهي الآن في غرفتها تشكو الصداع هل

تأتي لتراها

- نعم . سآتي

- وبعد عشرين دقيقة وصل الشيخ في تاكسي وأدخلته الخادمة الى الصالون .

فاشارت جانى الى كرسي ودعته للجلوس وقالت :

- لديك شيء هام تريد أن تقوله للمسز مرديث هل ما أظن .

- سأخبرها بذلك بنفسي أيتها الآنسة

- قبل أن تخبرها أريد أن أعترف لك بأمر - لقد أتيت بك الى هنا .

- مع أن ليديا ليست هنا

- نعم . فقد ذهبت للنزهة مع موردن . ولكنى أردت أن أراك يامستر جاجز لأنك صديقها ويهمك أمرها . لست أعرف من أنت ولكن المستر جلوفر قد استخدمك

- ماذا تقصدين بكل هذا . ماذا تريدين أن تقولى

- لست أدرى كيف ابدأ . المسألة دقيقة واكره أن أتكلم فيها . ولكن علاقة المسز مرديث بموردن مؤلمة وأظن أنه يجب اخبار المستر جلوفر أنا أعلم أن هذه الاشياء تحدث احيانا وموردن شاب جميل الصورة وهى صغيرة السن . . .

- عمن تتكلمين (وكانت لهجته قاسية)

قالت : اخشى ان تكون ليديا قد وقعت في حب موردن فانتصب واقفا وقال . هذا كذب شنيع . خبريني ماذا فعلت

بليديا مرديث واخلى ياجان برجرلند ان سقطت شعرة من رأس هذه السيدة سأتم العمل الذي بدأت به هناك (و اشار الى الحديقة) نعم اقتلك بيدي .

وقعت عيناها عليه ثم ارختهما وقد اعترتها رجفة الرعب وفجأة هرعت خارجة ودخلت غرفتها واغلقتها من الداخل ووقفت وراء الباب ممتقعة الوجه تهتز كالريشة رعبا وفرقا

سمعت وقع اقدامه على السلم ثم قرعا على بابها . كانت شجاعتها تخونها فتلفتت تبحث عن منفذ للنجاة . ثم خطر لها خاطر فاسرعت الى الحمام (وبابه من داخل غرفتها) وتناولت اسفنجة كبيرة وزجاجة امونيا كانت على رف الحمام وابعدت وجهها وافرغت الامونيا على الاسفنجة . ثم عادت والاسفنجة تقطر في يدها وفتحت الباب

فاندفع الرجل داخلا وقبل أن يدرك ما حصل ضغطت الاسفنجة على وجهه . فسقط على ركبتيه متألما وكانت الامونيا تعميه فقبض على معصمها ليبعد يدها عنه ولكن ذراعها كانت ملتفة حول عنقه فلم يستطع . وسقط على أرض الغرفة يئن من الألم . وفي الحال هاجمته كالقطة ووضعت ركبتها بين كتفيه . وأحس وهو في نصف وعيه أن يديه قد جذبتا الى وراء ظهره وربطتا معا . ثم قلبته على ظهره . وكانت الامونيا لا تزال في عينيه فلم يستطع فتحهما . وكان الالم لا يحتمل . ثم اسندته بذراعها فوقف وقادته الى كرسي وتركته وخرجت ثم عادت بعد قليل وأخذت تربط رجليه أيضا

ثم انتصارها عليه وهي منفردة . كانت هي لاتصدق أن هذا صحيح وقالت : يسوؤني أن أوذي رجلا عجوزا . ولكن الذي حدث ألا تصيح لا أضع كمامة على فمك

ثم بدأت تغسل عينيه بالماء وقالت

بعد دقيقة واحدة تستطيع أن ترى . وعليك أن تبقى هنا الى أن أرسل في طلب البوليس

– ترسلين في طلب البوليس ؟ أتعرفينني

– أعرف انك شيخ شرير دخلت الى المنزل في غيبة الخدم وأنا منفردة

– أتعرفين لماذا أتيت . جئت لأخبر المسز مرديث ان مائة ألف جنيه قد سحبت من مصرفها بإمضاء مزور

– ما أسخف ماتقول . كيف يستطيع أي انسان أن يسحب هذا المبلغ من المصرف وصديقها العزيز جاك جلوفر في لندن يمنع أي انسان من سرقتها .

فقال جاجز وهو ينظر اليها بعينيه الملتهبتين

– أنت تعلمين جيداً انى جاك جلوفر . ولم أترك مونت كارلو من الوقت الذي وصلت فيه اليها مرديث

الفصل السادس والثلاثون

لم يكن المستر برجراند يدقق في اختيار أي نوع من الرياضة .

وكان يفضل النزهة على موتوسيكل . فذلك يساعده على تنفيذ المشروعات التي ترسم خطتها ابنته : تناول افطاره في منتون وصعد التل الى جريمالدي بعد أن مر الحدود عند كبري سانت لويس . وفي فنتيميل أكل مرة أخرى ثم طاف بالمدينة الصغيرة وفي فمه سيجار واشترى شيئا من الحاجيات من حانوت . ثم واصل السير في رحلته

كان غرضه الذهاب الى سان ريمو . وكان قطار يقوم من سان ريمو في الساعة الواحدة . يسير به هو والموتوسيكل الى مونت كارلو حيث كان معتزما أن يمضي عصر ذلك اليوم . وقد تحدث مع ضابط الجمارك في سانت لويس

قال الموظف : كلا . ياسيدي فالسياح قليلون في هذا الطريق صباحا ولا تبدأ الحركة الا بعد الظهر . ويظهر أن الناس يفضلون الذهاب الى كان بدلا من المجيء الى الريفييرا . فالطريق مهجور

وفي الساعة الحادية عشرة وصل المحقق بوجراند إلى مكان في الطريق يصلح مخبأ للموتوسيكل . غيضة من أشجار الزيتون . وكان المكان مناسبا للمراقبة لانه يشرف على الطريق الغربي

كانت رحلة ليديا لاتقل متعة . فقد أفطرت في منتون ومرت بجسر سانت لويس بعد مرور بوجراند بساعة . وكانت الطريق الى سان ريمو ممتدة الى جانب جبال جرداء . ليس بها زرع ولا ضرع وبعد أن سارت السيارة مسافة طويلة وقفت عند مرتفع من الارض . وكان الطريق عند هذه البقعة ملتويا فلا يرى المرء منه

الا جزءا صغيراً من الامام أو الخلف . وقال موردن

ـ هاهي كرسي الغرام أيتها الآنسة

على منخفض من الطريق العام بنحو ستة أقدام كان يوجد رف من الصخر تؤدي اليه بضعة سلالم من الحجر . وكان كرسي الغرام منحوتا في الصخر نفسه فجلست تستعرض جمال المنظر وقد بهتت العزلة والسكون الذي لايعكره الا انكسار الامواج على الشاطىء سلاما ودعة الى قلبها . وفي آخر الحافة ينحدر الصخر في خط رأسي الى الماء

لم يرها موردن حين ذهبت بل جلس على رفرف السيارة مسندا رأسه بين يديه فريسة للأفكار السوداء . بدأ يشك في اخلاص المرأة التي كانت شبه اله معبود في نظره

لم يسمع وقع أقدام المستر برجرلند وهو قادم بخفة القط . ولكنه حين التفت بغتة أوحاول أن ينهض ولكن المستر برجرلند وضع يده على كتفه وقال : لاتقف يافرانسوا . انني اسف على تسرعي أمس

ـ كلا ياسيدي . أنا الذي تسرعت فعفوا

ضربت على كتفه وقال : هراء . ماهذه السفينة يافرانسوا . أهي سفينة حربية

فالتفت موردن نحو البحر وفي الحال حرك يده التي كان يخفيها وراء ظهره وبها المسدس ذو المقبض العاجي وأطلق النار فأرداه قتيـلا .

كان لانفجار القذيفة بقرب البحر دوي كالرعد فظنت ليديا أولا أن احدي عجلات السيارة قد انفجرت وهرعت تصعد السلم الترى

كان المستر برجراند واقفا وظهره نحو السيارة وتحت أقدامه جثة موردن

— المستر برج . . . ثم رأت المسدس في يده فصرخت وعادت تنزل السلالم وهي تكاد تنكفيء عليها . فانطلقت قذيفة أطارت القبعة فرفعت يديها الى فوق وهي تظن أنها أصيبت . ثم ظهر وجهه الاسمر فوق الحاجز والمسدس مرفوع في يده . فنظرت إلى عينيه قليلا ثم أحست بشيء يصيبها بعنف فتدحرجت وسقطت من حافة الصخر إلى البحر

الفصل السابع والثلاثون

قد يجوز ان جان لم تظهر في حياتها دهشة مقرونة بالفزع كما اظهرت حين قال المستر حاجز انه جاك جلوفر

فقالت متظاهرة بعدم التصديق : لا يمكن ان تكون المستر جلوفر

فقال جاك : اذا تكرمت بحل يدي اقنعتك

فتقدمت في دعة وحلت يديه فوقف وهو يئن . ثم نظر الى المرآة وقال

لقد كنت تهينني

- لو كنت اعلم انه انت ...

- لا تجعليني اضحك . طبعا كنت تعلمين انني هو

ثم نزع الشعر المستعار من رأسه واللحية من وجهه

قالت : كيف كنت اعرف أنه انت ظننت انك شيخ غريب

- هذا غير صحيح . كنت تعرفين من انا وخطر لك لماذا اتخذت هذا التنكر . وكنت على بعد يسير منك حين تنبهت الى انني لا يحق أن أنام في مسكن المستر مرديث الا متنكرا بزي رجل هرم

- ولماذا تريد أن تنام في مسكننا . هذا أمر غير لائق

- هذا سؤال لاداعي له . وأنا أضيع وقتي حين أجيبك عليه أنام في مسكنها لأحميها من مكائدك

- مكائدي ؟ انك لاتدري ما تقول

فشرع يتكلم وعلى وجهه علامات الوعيد

- اعرف هذا : لدي البراهين الكافية للقبض على ابيك وربما عليك أيضا لقد صرفت شهورا أحقق الحادث الاول - حادث ذلك الاسترالي الذي مات فجأة . وربما لا أستطيع أن أثبت عليكما حادث المستر مرديث . وقد لا أستطيع أن أسجنكما للاعتداءات المتكررة على حياة المستر مرديث ولكن لدي البراهين الوقية لشنق أبيك بسبب الحادث الاول

تغير لون وجهها . لم تكن في حياتها أقرب الى كشف سرها

منها الآن وكانت وهى تنظر فى عينيه تعيد فى ذهنها تفصيلات تلك الجريمة التى يشير اليها و تبحث عن عيب فى اجراءاتها

فقالت : هذا النوع من التهويش لايخيفنى . ولايفيدك شيئا اختراع جرائم تنسبها الى

- سنبحث فى ذلك فيما بعد . أين ليديا

- كل ما أعلمه انها خرجت للنزهة فى سيارة

- وهل أبوك معها

- كلا . فقد خرج أبي مبكراً . ولست أدرى بأي حق توجه الى هذه الاسئلة كأنك أحد القضاة الفرنسيين .

- ستعلمين حالا بأى حق أسألك . أين سائقك موردن

- ذهب أيضا . وهو فى الواقع الذى يسوق سيارة ليديا . لماذا تسأل عنه ؟

أدركت حينئذ أنهم عرفوا اشتراك موردن فى تزوير الشيك

فقال جاك : صدر الامر بالقبض على موردن بمجرد رجوعه لقد ثبت وجوده فى لندن وعرفنا المرأة التى قدمت الشيك . ووقفنا على حركاته من وقت قيامه من نيس الى باريس فى طيارة الى وقت رجوعه الى نيس . والذين استبدلوا النقود له مستعدون أن يقسموا أنه هو

فقالت : لا اصدق ان هذا ممكن . لان موردن كان دائما رجلا امينا . وكنا نثق به تمام الثقة ولم نندم مرة على هذه الثقة . والآن يامستر جلوفر الا ترى ان المحادثة معى فى غرفة نومى لاتزيد فى

احترام خدى لى . أتسمح بالنزول إلى أن أوافيك

فقال . لاتحاولى الخروج من المنزل

فضحكت وقالت : انك تشبه رجال البوليس السرى الذين نقرأ عنهم فى المجلات . ليس لك حق فى منعى من الخروج من المنزل وأنت تعرف ذلك جيداً . ولكن لاتخف . اجلس على السلم الى أن أجيء

ولما ذهب دقت الجرس لخادمتها ولما جاءت أعطتها خطابا وقالت

.. بينما أتحدث مع المستر جلوفر آتنى بهذا الخطاب وقولى أنك قد وجدته فى البهو

فقالت المرأة : نعم ياسيدتى .

ثم التفتت الى زينتها . كان ثوبها قد تمزق فغيرته ثم نزلت وجالت يذرع البهو ذهابا وجيئة .

قالت : أريد يامستر جلوفر أن أعرف ماذا اعتزمت أن تعمل . ماهو مشروعك . أتريد أن تأخذ ليديا منا : أنا أعلم أنك تحبها

ذاهر وجهه وقال (كاذبا) : لست أحب المسز مورديث

.. لاتكن غبياً . بالطبع أنت تحبها

.. أول شيء هو أن أعيد اليها مالها . وعليك أن تساعدنى

.. سأساعدك بالطبع . ان كان موردن مجرما الى هذا الحد فعليه أن يتحمل نتائج اجرامه . أنا أعلم انك قد بلغت من المهارة الى حد أنك لاتخطىء . مسكين موردن . لست أدرى كيف فعل ذلك مع أنه صديق لليديا . والواقع يامستر جلوفر أن ليديا لم تكن حريصة

— قلت ذلك من قبل . والآن عليك أن توضحي

فهزت كتفيها وقالت : انهما تختلطان كثيراً وقد رأيتهما يسيران معا ليلة الامس يا أرسين . كنت أخشى أن تلاحظ ذلك المسز كول مورتيمر

— وهذا معناه أن المسز كول مورتيمر لم تلاحظ ذلك . ألم ماهي يا جان فيما أنت تخترعين تمدين العدة لبعض الحجج التي قد تأتي من ناحية أخرى . لست أصدق كلمة مما تقولين .

قرع الباب ودخلت خادمة معها خطاب وقالت

— هذا الخطاب لك ياسيدتي . كان في البريد . ألم يقع نظرك عليه

تناولت الخطاب ونظرت الى العنوان ثم فتحته . ثم رأى الدهشة والرعب تظهران على وجهها . ثم قالت وهي لا تكاد تلتقط نفسها

— ياإله السماء .

فانتصب واقفا وقال : ما هذا

فأحدقت النظر في الخطاب ثم في وجهه . وناولته الخطاب فقرأ

« سيدتي العزيزة

لقد تعبت من تندق واعترفت لخدام مورتيمر أني زورت اسمها واستوليت على مائة ألف جنيه من مصرفها . والآن تعلمت أن المسز مورتيمر تعرفني . وليس لذلك سوى نهاية واحدة وهي كاترين . . .

قرأ جاك الخطاب مرتين ثم قال

— وهذه مخطئة أيضا . هذا مستحيل لا يمكن تصديقه . فان عيني لم تفارق المسز مورتيمر طيلة اقامتها هنا : هل يوجد خطاب منها أيضا ولكن هذا مستحيل . نعم مستحيل

قالت : لم أدخل غرفتها . فهيا معى اليها

فذهبا الى غرفة ايديا . وأول شىء لفت نظره كان خطابا مختوما موضوعاً على منضدة الى جانب الفراش . فتناوله . كان الخطاب له وبخط ايديا ففتحه وماقرأه حتى امتقع وجهه

ثم قال : أين ذهبا

قالت : الى سان ريمو

- فى السيارة ؟

- بالطبع .

فخرج كالبرق الخاطف . فوجد السيارة التى استأجرها يوم مجيئه الى مونت كارلو . فأعطى التعليمات للسائق ووثب فيها . وطارت السيارة الى منتون ثم الى الحدود ووقف قليلا يستعلم فعلم أن سيدة مرت فى سيارة ولكنها لم تعد . ولما سأل متى ؟ قيل له منذ نحو ساعة أو أقل . فسارت السيارة تسابق الريح فى ذلك الطريق المتعرج . وعند منعطف من الطريق رأى السيارة وحولها جمع من الناس . فتحول قلبه الى حجر وهو يثب من سيارته

ورأى ظهور جنديين من البوليس الايطالى . فأخلى لنفسه طريقاً بين الجمع الى أن رأى مورديز طريحا على وجهه يسبح فى بركة من الدماء وفى يد أحد رجال البوليس مسدس مقبضه من العاج

قال رجل البوليس : بهذا المسدس ارتكبت الجريمة . وقد أطلق منه ثلاث رصاصات فعلى من أطلقت الرصاصتان الاخريان

ترنح جاك وقبض على الرفرف ليستند عليه ثم اتجهت عيناه نحو

البحر فقام وأطل من الحاجز وأول شيء وقع نظره عليه كان قبعة ممزقة وقناعا علم أنهما لميديا

الفصل التاسع والثمانون

كان المستر برجرلند يقتل الوقت على رصيف مونا كو فرأى اليخت « جنجل كوين » وماركس يخرج منه ومعه أدوات الصيد، ولما اقترب ماركس منه ناداه فالتفت مزعجا

— أهذا أنت يابرجرلند

— نعم ، هل كنت تصطاد - وهل توفقت في صيدك

— لم أصطد إلا سمكة واحدة

— حظ سيء . وأين المسز مرديث كنت أظن أنها معك

— كلا . لقد ذهبت الى سان ريمو

— هذا صحيح . لقد نسيت ذلك

وبعد ذلك اشترى جريدة وقرأ فيها خبر الفاجعة التي وقعت في طريق سان ريمو فعاد الى المنزل والاضطراب باد على وجهه فقال وهو يدخل الصالون : يالها من فاجعة .

ثم رأى جاك جلوفر ومعه رجل فرنسي طويل القامة عرفه برجرلند أنه رئيس البوليس السري

قال جلوفر : تعال يامستر برجرلند . نريد منك أن تخبرنا كيف صرفت هذا اليوم

فقال برجرلند مستاء : كيف . هل تظن أن لي ضلعا في هذه الفاجعة التي أرعبتني وملأت قلبي حسرة وندما . كيف تسمحت لذلك الزنيم أن يتبادل الكلام مع ليديا المسكينة

فقال الرجل الطويل . ومع ذلك . عليك يامسيو أن تخبرنا أين كنت

- هذا سهل الايضاح . لقد ذهبت إلى سان ريمو على الموتوسيكل

- ومتى وصلت إلى سان ريمو

- نحو الظهر أو قبل ذلك بربع ساعة

فقال جاك : أنت تعلم أن الجريمة وقعت في الساعة الحادية عشرة ونصف

- قرأت هذا في الجرائد

قال رجل البوليس : وأين مضيت وقتك في سان ريمو

- ذهبت الى أحد المشارب فأخذت كأسا من الخمر ثم تغديت في فندق فكتوريا وعدت الى مونت كارلو بقطار الساعة واحدة

- ألم تسمع شيئا عن الجريمة

- كلا ولا كلمة

- هل رأيت السيارة

- كلا . فقد خرجت قبل ليديا المسكينة بمدة

- هل علمت بأية علاقة بين السائق وضيفتكم

- لم يخطر ببالي شيء من ذلك . ولو علمت لأعدت ليديا إلى صوابها

- ابنتك تقول أنهما كانا يختلطان كثيرا فهل لاحظت ذلك

- نعم لاحظت ذلك ولكننا ديموقراطيون ولا نعلق على هذا الاختلاط أهمية . نعم اذكر انني رأيتها تسير مع موردف في الحديقة

ثم أخرج رجل البوليس من وراء ستار بندقية انجليزية قديمة وقال : هل هذه لك

- نعم . وقد اشتريتها في أميال تذكارا لجنودنا الشجعان ...

- أعرف الدافع الوطني لك في شرائها . ولكن كيف خرجت من حوزتك

- لست أعلم . ولم أكن أظن أنها ضاعت . اختفت عن نظري منذ بضعة أسابيع . أيمكن أن موردف ... ولكن لا أظن

فقال جالك . ماذا كنت تريد أن تقول . ان موردف أطلق النار على المستر مرديث يوم الاستحمام . ولكنني أوفر عليك هذا الكذب فأنت الذي أطلقت النار وأنا الذي ضربتك

فاصفر وجه برجرلند وقال : لست أفهم لماذا توجه الى تهمة كهذه لا أساس لها

والتفت الى ابنته وقال : أظن يا عزيزتي أنه يمكنك حل هذا الطلسم

فقالت : لست أعلم شيئا عن البندقية . بل لا أعلم أن لديك بندقية . ولكن أجيب على جميع أسئلتهم يا أبي فأنا متلهفة مثلك الى الوصول الى أعماق هذه الفاجعة . هل أخبرتم أبي عن الخطابات التي وجدت

فقال البوليس : كلا . لم نر أباك الا حين وصل الآن

فقال برجولند : هل تركت ليديا المسكينة خطابا

فقالت جان : نعم . وأظن المستر جلوفر سيخبرك عنه : كانت ليديا المسكينة على اتصال بموردن . ومن الواضح كيف وقعت الفاجعة فقد خرجا معا اليوم معتزمين عدم الرجوع . . .

فقال جاك في هدوء . لم يكن في نية المستر مورديث الذهاب الى كرسي الغرام الى ان اقترحت عليها هذه الرحلة . والمستر كول مورتيمر متأكد من هذه النقطة .

فقال المستر برجولند : هل وجدت الجثة

فقال رجل البوليس . لم نجد الا جثة السائق

وبعد بضعة أسئلة أخذ رجل البوليس جاك الى خارج الغرفة وقال

ـ يخيل الى أن هذه احدى جرائم الغرام التي تحدث كثيرا في هذه البلاد . وقد عرفنا أن موردن رجل فرنسي وقع في قبضة البوليس مراراً وذلك من وشم على ذراعه !

ـ ألا تظن أن هناك أملا

ـ انما نبحث في الماء عن الجثة . ولا دليل ضد هؤلاء الناس سوى شهادتك . وقد تكون الخطابات مزورة ولكنك تؤكد أن الخط خط المستر مورديث

فأحنى جاك رأسه . ثم سارا نحو السيارة التي جاء فيها رجل البوليس .

قال جاك : أتسمح بأن أرى هذا الخطاب ثانية

فاخرجه رجل البوليس من حافظته . ووقف جاك يفحصه .

وما لبث أن هز رأسه وقال — أنه خطها

ولكنه صاح فى دهشة وقال . ماذا . أترى هذا

وأشار الى علامة صغيرة قبل « صديقى العزيز »

فقال رجل البوليس : انها علامات اقتباس (« ») ولست أدرى لماذا كتبت هذه العلامة

فقال جاك . لقد عرفت . الرواية . اخبرتني الآنسة برجراند أنها تؤلف رواية واذكر انها قالت ان معصمها متألم من كثرة الكتابة . فربما أملت جزءا من الرواية على المسز مرديث . وهذا يفسر علامات الاقتباس . فتناول رجل البوليس الخطاب من يده وفحصه ثم قال :

— هذا ممكن . فالكتابة منتظمة ولا تدل على شيء من الاضطراب أما الحروف . ل : م . فقد تكون لاسم آخر . ولكن ان كان هذا جزءا من الرواية

فأين باقيها : أريد منى أن أفتش المنزل

— كلا . لا يمكن لمثل هذه الماهرة أن تبقيها فى المنزل . ولابد أنها أحرقتها .

— كيف تحرقها والتدفئة فى هذا المنزل بالكهرباء . هل تذهب بها الى المطبخ

— كلا . هى لا تفعل ذلك . بل تحرقها فى الحديقة

فأحنى رجل البوليس رأسه وعادا معا الى المنزل . وكانت جان تتحدث مع أبيها فرأتهما يذهبان الى الحديقة وعيناهما نحو الارض

فقالت مابسة : من أي شيء يبحثان
فقال أبوها . سأذهب لأدري
فأمسكته بذراعه وقالت : أتظن أنهما يخبرانك
ثم هرعت الى غرفتها وأخذت ترقبهما من وراء ستار . ثم غابا عن النظر في الجانب الآخر من المنزل فذهبت الى غرفة ليديا لترقبهما .

ثم رأت رجل البوليس ينحني ويلتقط شيئاً من الارض
فقالت يائسة : الرواية المحترقة . لم أكن أظن أنهما يبحثان عنها ، وجدا قطعة صغيرة ولكنها كانت بخط ليديا وكانت علامات القلم الرصاص ظاهرة في الورق المحترق . وقرأ رجل البوليس (لوزا مارتين) . وهذا يفسر الحرفين ل . م . وهناك أيضاً « مفجع » و « ندم »

ولم يجدا شيئاً يذكر بعد ذلك . ورأتهما جاثيين يختفيان عن نظرها . فعادت الى أبيها وقالت
- لقد خفت
فقال أبوها : يظهر أنك مازلت خائفة .
فهزت رأسها وقالت : يجب أن تفهم ياأبي أن هذا الحادث قد لا ينتهي بخير فهناك من الأمل في عدم معرفة الحقيقة ٩٩٪ ولكن الـ ١٪ الباقي يقلقني . كان يجب التخلص من ليديا بطريقة أهدأ ولكن ماذا كنا نفعل غير مافعلنا مع العلم بأن موردن أصبح لا يطاق

فقال أبوها : من أين أتى جلوفر

فقالت : لقد كان هنا طول الوقت . فهو جابى العجوز

فدهش الرجل وقال : أعني الاقتراب من هذه المسألة ويظهر أنها ستجلب لنا متاعب كثيرة

- هذا صحيح . فلو كنا ننتظر أن يبلغ ستمائة ألف من الجنيهات بغير صاحب . وستوجه الشكوك الينا . ولكن هذا لا يزعجني كثيرا فاننا لا نلبث أن نعيش في هدوء باقي أيام حياتنا

فقال الرجل بغير اقتناع : أظن ذلك .

كانت المسز كولن مورتيمر طريحة الفراش وامرت جان باعداد الطعام وما فرغوا منه حتى جاء زائر . هو المستر ماركس ستنبي . وما كان ستنبي يظهر قط في ميعاد العشاء الا على عكس العادة ولكنه هذه المرة كان بغيرها . ثم قال :

- هل أستطيع التحدث اليك على حدة ياجان

فقال بوجرلند : ماذا : ألا تنتهي من الاسرار .

أما الفتاة فلفت شيئا حول كتفيها وسارت الى الحديقة وماركس يتبعها . ومرت عشر دقائق فربع ساعة ولم يعودا . فقلق المستر بوجرلند . فترك كرسيه وقام ولكنه ما وصل الى منتصف الغرفة حتى دخل جلوفر ورجل البوليس . وقال رجل البوليس :

- ياموسيو بوجرلند لدي أمر من مدير البوليس بالقبض عليك

- الـ .... قبض ... على .. بأية ... تهمة

- بتهمة قتل فرنسوا موردنى عمدا

... هذا كذب . هذا كذب . انى لا أعرف ...

ثم توقف عن الكلام لانه نظر خلف جلوفر فرأى ليديا من يث

الفصل التاسع والتسعون

لم يكن ماركس ستبنى موفقا فى الصيد ذلك اليوم . كما لم يكن موفقا فى التأثير على ليديا للذهاب معه . فقال يحرق الارم :

... حتى السمك لا يريد الاقتراب منى

كان على بعد عشرة أميال من الشاطىء . فأخرج سلة بها طعام وفتحها وأخذ يأكل ويشرب ما أعده له خادم المطعم من شراب الشمبانيا . وبعد أن أكل وشرب زال غضبه ورفع المرساة وأدار آلات اليخت وسار وهو يفكر فى جان برجراند التى كان يسميها « الشيطان الصغير » ولما ازدادت حرارة الشمس شعر بالميل للنوم فوجه رأس اليخت نحو أقرب شاطىء شاهده يجد مرفأ فوجد خلا جزءا مجوفا من الساحل تشرف عليه هضبة شديدة الانحدار وهو يكفى لليخت « جنجل كوين » وبينما هو يلقى المرساة رأى عددا من السمك . فألقى شصه وجلس والنوم يداعب أجفانه . وتنبه من نومه على صوت قذيفة مسدس . ثم ثانية ثم ثالثة . ثم فى الحال سقط شىء من الهضبة الى الماء .

طار ستبنى حينئذ الى كامل صحوه . وأطل على الماء فرأى شبح امرأة يدور فى الماء ولما انكشف له وجهها اندفع فى الحال الى الماء .

وبعد مشقة انتشلها وعاد بها الى اليخت . ثم تسلق جانب اليخت وربط حبلا حول وسطها وجذبها . وقد ظن في بادىء الأمر أنها ميتة ولكنه فحصها فوجد قلبها يدق . فذهب الى سلة الطعام وأخذ زجاجة خمر وصب جزءا منها في فمها . فانتعشت قليلا ثم فتحت عينيها

قال ماركس : انك بين أصدقاء

جلست وغطت وجهها بيديها وتذكرت جميع ما حصل فكاد دمها يتجمد في عروقها من الرعب

قال ماركس : ماذا حدث لك

فقالت بصوت ضعيف : لست أدرى تماما انه فظيع . فظيع !

قدم لها زجاجة الخمر فرفضت . كانت تحس بألم في كتفها اليسرى كان الكم ممزقا وبالذراع جرح كبير

قال ماركس : هذا يشبه جرحا ناتجا عن رصاصة وقد سمعت طلقا ناريا . فهل أطلق بعضهم الرصاص عليك

فأحنت رأسها فسألها من هو . فحاولت أن تتكلم فلم تستطع بل استغرقت في البكاء . ولما قال هل هو جان . هزت رأسها فقال هل هو برجرلند . فأحنت رأسها . فقال ستيفى متعجبا

- آه . برجرلند . فلنذهب الآن من هنا

ثم أدار آلات اليخت وخرج من هذا التجويف واتجه نحو عرض البحر ولما ابتعد عن الشاطىء أخذ منظاره ووجهه نحو الطريق فرأى السيارة وأحد رجال البوليس يترجل عن موتوسيكل

ويمضي فوق شيء . فأعاد منظاره الى مكانه والتفت الى الفتاة وقال

- انه أمر فظيع يامسز سرديث . وأحمد الله لأنني لادخل لي فيه

قالت : والى أين أنت ذاهب بي

- الى عرض البحر فلا تخافي . اريد ان أسمع قصتك فانك انت

كما أخشى أن تكوني فخير لك أن يعتقد برجوانند انك ميتة

فقصت عليه القصة كما عرفتها . وهو لم يقاطعها ولما انتهت قال

- وماتهمون فن أيضا . هذا دهي . ولكن كيف يستطيعون

ايضاح ذلك على كتبت خطابا بأنك هاربة مع السائق

فتنهدت عند ذلك وقالت : كتبت خطابا بهذا المعنى ولكنه

لم يكن خطابا حقيقيا . بل هو جزء من رواية تؤلفها جان وأملته

علي . وياله . لاأستطيع أن أصدق . حتى الآن

فقال الرجل : خبريني عن الرواية

- انها رواية تكتبها لاحدى المجلات في لندن وقالت إن

معصمها يؤلمها . فكتبت بالنيابة عنها وهي تملي علي نحو ثلاث

صفحات . وكانت احدى الصفحات خطابا على لسان بطلة الرواية

تقول فيه انها هاربة لانها أحبت رجلا أقل منها منزلة

- ياإله السماء . هل فعلت جان ذلك

ويظهر ان مسلك جان هذا أثر فيه كثيرا فظل مدة طويلة لايتكلم

ثم قال : يسرني انني عرفت ذلك

- هل تظن أنها كانت طوال هذا الوقت تسعى الى قتلى

- نعم . وقد استخدمت جميع الناس حتى أنا . ولست أريد أن تظني السوء بي يامسز مرديث . فهذا اليخت كان معدا اليوم لرحلة تبلغ ألفا ومائتي ميل وتكونين رفيقتي فيها

فقالت وهى لاتصدق : أنا

. وكانت فى الواقع فكرة جان . ولكن يظهر أنها غيرت رأيها أو ظنت أنني نسيت المشروع . وكنت أقصد أن أذهب بك بعيدا ولا أعود بك الا اذا رضيت ... ولست أظن انى كنت استطيع القيام بهذه المهمة لانى لم أخلق للمؤامرات والمكائد . على كل حال لم أحاول

- كلا . يامستر ستيفى . ولو حاولت لما نجحت

ونزع ماركس إلى الصراحة فما لبث أن أخبرها عن مهنته التى يعيش منها وقال : هذا رذيء ولكنه وسيلة سهلة للحصول على المال . وهذا أغرانى . أعلم أنك ستظنين أنى نذل . وهذا ما أستحقه

ثم فحص الشاطىء وقال : أظن أنه يجدر بي أن أذهب بك إلى نيس . وربما استطعت هناك الاتصال بحارسك المسترجاجز . ألا تعرفين أين يمكني أن القاه . ويمكني الذهاب الى فيللا كازا لارى ماذا يقولون عن الفاجعة

فقالت : وربما استطعت تجفيف ملابسى . انك لاتعلم كم أنا

متضايقة

- أعرف لانني مبتل الثياب أيضا

وصلا الى نيس الساعة الثالثة بعد الظهر وأوصل الفتاة الى فندق ثم غير ملابسه وعاد الى موناكو حيث رآه برجرلند

قضى ماركس ساعتين وعقله في صراع شديد مع حبه المرأة التي ثبت له أنها قاتلة . وأخيرا تغلب الحب . فلما خيم الظلام موق اليخت « سنجل كوش » وعبأه بالبترول ثم قصد الى رأس كاب مارتين والى هذا اليخت اتجاهت جان

قالت : وماذا يحصل لابي

فقال ماركس : أظنهم قد قبضوا عليه

انه يكره السجن . أسرع ياماركس . لاني أكره السجن أيضا



الفصل الاربعون

أقامت اميليا في فندق هادىء في نيس وجاءت المسز كول موتيمر لتقيم معها وقد بقيت في اليوم التالي للحادث لا تبرح فراشها . وقد أتاها جاك بطبيب ولكنها رفضت مقابلته وبعد ذلك بيوم قابلت الفتاة . وقد قصت عليه باختصار الدور الذي لعبه ماركس في انقاذها ورأى جاك من الملائم أن يذهب اليه في فندقه ليشكره ولكنه لم يجده . والواقع ان ستبني قد اختفى منذ يومين واختفى معه اليخت « جنتل كوين » ولم يتنبه لذلك أحد حتى بدأت المسز كول موتيمر تسوى حسابها مع جاك فذكرت اليخت فقال جاك أنه كان يظن ان اليخت ملكا لماركس يشاركه شركه وعاد الى فندق ماركس وثبتت شكوكه لانه رأى احد رجال البوليس السرى يبحث عنه هناك . وعلم أن ستبني قد اختفى منذ القى القبض على المستر برجرند

فقال جاك : لقد هرب مع الفتاة . لانه يحبها على ما أظن .

فقال رجل البوليس : لو عرفنا ذلك لقطعنا عليهما الطريق فلدينا عدة نسافات في ميناء فيلا فرانكا . ولكن قد تأخرنا الان

فقال جاك : الى أين تظن أنهما يذهبان

الله أعلم . قد يذهبان الى ايطاليا أو اسبانيا أي برشلونه .
سارعت (تلغرافا) الى مدير البوليس هناك .

وأجاب مدير بوليس برشلونه ان اليخت « جنجل كوين »
لم يره أحد وكان الجو هادئا والبحر راكدا والظروف مناسبة
في الهرب . وبالبحث اتضح ان المستر سقبني عبأ اليخت جيدا
واشترى مؤن كثيرة قبل رحيله

مضى على الجريمة أسبوع وانتهى التحقيق المبدئى مع المستر
برجراند . ثم جاءت برقية من البوليس الاسباني بان يختا ينطبق
وصفه على « جنجل كوين » رسى على ملجا وصبا بترولا وخرج
الى البحر قبل أن يتمكن أولو الشأن من التحقيق في أمره

قالت ليديا : ربما تظنني ناقصة العقل . ولكنني أحب أن تنجو
— لو أقمت معها زمنا أطول لحولتك الى مجرمة . وأرجو ألا
تنسى أنها أخذت معها مائة ألف جنيه وهى سدس ثروتك .

— هذا ماريح قلبي من ناحيتها . أنا أعلم الآن من هي وميزتها
الكبرى أنها ولدت بعد أوانها بستمائة عام . ولو عاشت في عهد
النهضة الايطالية لكان لها شأن عظيم في التاريخ

— هذا كثير منك . وعلى ذكر ذلك . لقد سلموا برجراند
للبوليس الايطالى لان الجريمة وقعت على أرض ايطالية وهذا
ينقذ رأسه من المقصلة

فارتجف بدنها وقالت : وماذا يفعلون به

— يسجن مدى الحياة وأظن أن هذا أردأ من المقصلة. تقولين أنك تعطفين على جاك ... أما أنا فأرثى للمسيو بروجولند . ولولا أنه سار فى تيار ابنته ربما كان رجلا محترما

كانا يسيران فى شوارع جراس وجاك يريها مناظرها الجميلة

قالت : أظن أنه يجب على أن أستقر الآن

— نعم . أظن هذا واجبا وأن تسوي حسابك أيضا . فالنفقات القضائية أصبحت ثقيلة جدا

وقفت ونظرت اليه وقالت : لماذا تقول ذلك

— أقوله بصفتى وكيل أشغالك المأجور

— انني مدينة لك بكل شيء لى . وثروتى هى أقل هذه الاشياء أهمية فانا مدينة لك بحياتي ثلاث مرات

— بل أربع مرات ولماركس سمتبنى مرة

— لماذا فعلت ذلك من أجلى . أتعود عليك فائدة منه

— نعم . لقد اهتممت بأمرك منذ رأيتك تخرجين من سيارة موردن تلك الليلة ثم زاد اهتمامى بك ....

قالت : متى ؟

— حين كنت أجلس خارج باب غرفتك ليلة بعد ليلة وعرفت أنك لاتخطين .

فاحمر وجهها وقالت : أرجو ألا تشير الى حوادثك في دور المستر جاجز . كنت أحب أن أرى ذلك الشيخ . ولن تتعزى المسز موورجان على فقده

ثم سارا الى الكاتدرائية وجلسا وقال جاك هامسا

— في الكنائس روح تريح القلب . انظرى الى تلك النافذة الفخمة لو كنت غنيا الى حد يمكننى من الزواج بالمرأة التى أحبها لتزوجتها فى كنيسة كاتدرائية كهذه مملوءة بالتماثيل والصور ونوافذ الزجاج الملون .

— والى أى حد تريد أن تبلغ ثروتك

— الى أن تعادل ثروتها

— قل لى كم ثروتك وأنا أوزع ما عندى زيادة عليها حتى نتساوى .

فقبض على يدها وأبقاها بين يديه . وهناك بقيا معا على هذه الحال أمام مذبح سانت كاترين الى أن غابت الشمس



الفصل الحادى والاربعون

قال ماركس سقبوى وهو يشير الى مرتفع أغبر اللون

.. هذا جبل طارق

كان غير حليق لأنه نسى أن يأتى بموساه وكان البرد يهرأ بدنه بالرغم من أنه رفع (ياقة) معطفه الى آذانه . أما جان فلم يظهر عليها أثر تغير الجو . فكانت جالسة وقد اعتمدت ذقنها على كفها وكوعها مرتكز على ركبتها

قالت : أتعرج على جبل طارق

- لا أظن . هل رأيت ذلك الرجل الذى وقف على الرصيف يصرخ علينا بالرجوع بعد خروجنا من ملجأ . هذه علامة سيئة . وأظن ان البوليس يحاول ايقافنا . ولا بد ان الخبر قد وصل الى جميع الموانى .

- كم من الزمن نستطيع البقاء فى عرض البحر

- لدينا بترول ومؤنه تكفينا للوصول الى دكا . أى رحلة ثمانية أيام

- أى على شاطىء افريقية . من أين يمكننا الحصول على سفينة تذهب بنا الى أمريكا الجنوبية

من لشبونه . ولكن هناك سفنا كثيرة يمكن أن تراها . على أننا نستطيع الذهاب الى رأس بلماس فمعظم السفن المتوجهة الى أمريكا الجنوبية تعرج عليها . وعندى انه خير لك البقاء في أوربا . تعالى ياجان وامسكي بهذا المكان

فأطاعت وظلا يعملان معا في تسيير السفينة . وكان عليه أن يقوم بدهان جسم اليخت وكان ذلك شاقا جدآ وقد أتى باللون الرمادي من ملجأ . أما الصارية القصيرة فقد قطعها ورماها في بحر في اليوم التالى لمبارحتهما الكاب مارتن

كانت ترقبه في عمله فخالت أنه لم يكن يوما ما أقل جاذبية منه الآن وقد استطالت لحيته وتلطخت ثيابه بالدهان والبترول ومع ذلك كان لها مايدعو الى شكره . فسلوكه معها كان خاليا من كل عيب فهو لم يوجه اليها كلمة غرام

قالت : اذا فرضنا أننا وصلنا الى أمريكا الجنوبية سالمين . فماذا يحصل يامارکس

فقال ضاحكا : نتزوج

فضحكت وقالت : وماذا يحصل لمسز ستبنى الاخرى

- لقد طلقتني وقد حصلت على الاوراق المثبتة لذلك قبل قيامنا بيوم .

فقالت جان : لا بأس . نتزوج

- أليس هذا رأيك أيضا

- نعم . ويخيل الى أن ذلك نهاية غريبة للحوادث . ومع ذلك ليست غريبة . ثم انحنى ليتمم عمله : فأدارت السكان بغتة دورة قوية وانعطف اليخت فجأة الى اليمين وكاد ماركس يفقد توازنه ويسقط في البحر . ولكنه بذل جهدا فوق طاقة البشر ليعيد توازنه . ثم نظر اليها بوجه ممتقع

قال : لماذا فعلت ذلك . كدت أسقط في البحر

- انني آسفة . كانت سمكة في طريقنا فأردت أن أتحاشاها . ولم أتصور أن ذلك يفقدك توازنك

فنظر الى البحر يبحث عن السمكة الماكرة فلم يجدها

قالت : نبهتني الى الابتعاد عنها . فهل عرضتك لأي خطر

فبلل شفتيه الجافتين وألقى اناء الدهان في البحر وقال

- سأترك هذا الى أن نصل الى الشاطىء . لقد أخفتني ياجان

- انني شديدة الاسف . تعال واجلس الى جانبي

وأفسحت له مكانا فجاء وجلس الى جانبها وتناول السكان من يدها . وظهرت لهما من بعيد شواطىء افريقية فأشار اليها وقال

- هذه مراكش . وعندي أنه يجب الابتعاد عن جبل طارق ونسير ازاء شاطىء افريقيه الى طنجة . ولا بأس بطنجه لنزولنا لولا أننا معا لان هذا يوجه الريب الينا . ويمكنك الادعاء بأنك

قادمة من جبل طارق . وأولو الشأن هناك لا يدققون كثيرا .
وهناك رأي آخر وهو أن نصعد على الشاطىء ونسير الى طنجه
فنصل اليها عند الصباح . فلا يثير وصولنا أي شك

كانت تنظر الى الشاطىء وفي عينيها بريق غريب . ثم قالت

— مراكش . مراكش . لم أفكر في ذلك

ثم حدث لهما مايزعجهما بعد ذلك بقليل . مر عليهما من بعد جسم رمادي متجه نحو الشرق . وكان ذلك الجسم نسافة ذاهبة الى جبل طارق . وقد رأى ستيفنى النور الطلق يختفي ولكن النسافة عادت

فقال ماركس : انهم يبحثون عنا

كان الظلام قد ابتدأ يخيم فوجه مقدم اليخت نحو الشرق . ولا شك أن النسافة كانت تبحث لأن النور الكشاف قد انبعث من ظهرها وأخذ يدور الى أن وصل الى اليخت ووقف قليلا . ثم تركهما . وبعد قليل عاد الضوء الى القارب . ولكنهما رأيا أيضا ان الضباب يتجمع . ثم أطلق مدفع فقال ماركس :

— هذا أمر لنا بالوقوف

ثم وجه مقدم القارب الى الجنوب . الى الشاطىء مع مافي ذلك من المخاطرة . ثم اختفى القارب في الضباب

وقال ماركس ثانية : انهم يبحثون عنا

- لقد قلت ذلك من قبل

- لعلهم أنذروا ميناء طنجه فلا نستطيع الذهاب الى المرفا

ثم اتجه نحو الغرب قاصدا الى شاطئ أفريقية الصخرى . وقد رأينا الانوار على الشاطئ . وحاول ماركس أن يتذكر هذه المدينة قال : أظن أن هذا المكان هو كوترا . محطة نفي المجرمين الاسبانية . هدأ من سير القارب وهو يقترب من الساحل الى أن ظهر نور المنارة التى دلتهما على المكان

- هذا رأيي صباوتل . ونستطيع أن نرسو قريبا . لقد قضيت ثلاثة اشهر فى مراكش واتذكر ان الطريق جيد من هنا الى طنجة

ذهبت الى الغرفة وبدلت ثيابها حين كان ماركس يرسو الى جانب الشاطئ . ثم حملها الى الشاطئ واجلسها . ثم عاد وادار مقدم القارب نحو عرض البحر وثبت السكان وادار الآلات ثم ترك القارب وعاد يخوض الماء الى الشاطئ . ثم وقف ينظر اليه وهو يسير نحو عرض البحر الى ان اختفى عن نظره

- انتهينا من هذا . وأمامنا الآن ياعزيزتي عشرة أميال نسيرها على الاقدام

ولكن حسابه كان خطأ . كانت المسافة بين ذلك المكان وطنجه نحو خمسة وعشرين ميلا . وتستلزم كثيرا من الدوران فى داخل بلاد غير آهلة اللهم الا بعسكر مولاى حافظ الذى كان يحارب

الحكومة الاسبانية فى صلح قد يدوم سنوات

كان مولاى حافظ جالسا فى نصف الليل يشرب القهوة ويصغى الى الحاكى (الفونوغراف) . واذا بصوت خارج خيمته جعله يوقف الآلة ويقول : ماهذا

- لقد قبضنا يامولاى على رجل وامرأة يسيران على الساحل

قال مولاى بالعربية : لعلهما من اهل الريف فاتركوهما . اننا نسعى الى الصلح لا الحرب

- ولكن يامولاى هذان كافران واظنهما انجليزيين

فقال وهو يمشط لحيته : آتنى بهما

فاحضرا اليه كانا رجلا مكتهل الشباب وفتاة ما كاد يراها حتى شهق بقوة وقال متعجبا

- هذه صديقتى التى قابلتني فى الريفييرا

ثم وقف فابتسمت له فقال :

- انني آسف ان كان رجالى قد أخافوكما . لا تخشيا شيئا . سابعث برجالى لحراستكما الى طنجه . من أين أنتما قادمان

لم تستطع الكذب فقالت : نزلنا الى الشاطىء من قارب وضللنا الطريق .

- أظن أنك الفتاة التى يبحثون عنها : لقد جاء أحد رجالى من طنجه اليوم وقال ان البوليس الفرنسى والاسباني يبحثان

من فتاة ارتكبت جريمة في فرنسا . ولا أصدق انها أنت . وان كنت أنت . فان الجريمة لاشك تقبل الغفران

ثم نظر الى سفيني وقال : ولعلهم يبحثون عن رفيقك .

— كلا : انهم يبحثون عني أنا : لاهو

فاشار الى وسادة وقال : اجلسي

ثم جلس هو أيضا . أما ماركس فبقي واقفا مبهوتا

— ماذا تفعلين اذا ذهبت الى طنجة . أخشى انني لاأستطيع حمايتك ولكن هناك (وأشار بيده) بين التلال مدينة تمتد أميالا عدة من هذا المكان . والتلال ياسدو وازيل مغطاة بالخضرة الجميلة . تنبع منها الينابيع . وأنا السيد الحاكم هناك

قالت : سأذهب الى مدينة التلال

قال : وهذا الرجل

فهزت كتفيها وقالت باسمة : لايهمني أمره

اذن يذهب الى طنجة منفردا

لم يذهب ماركس الى طنجة منفردا لانه كان يحمل كيسا به الشطر الاكبر من خمسة ملايين من الفرنكات كانت الفتاة قد أتت به من القارب . لم تتذكر جان هذا إلا بعد أن بدأت رحلتها متجهة الى مدينة التلال . وحينئذ لم يكن المال ذا أهمية في نظرها .

(تمت)

خمسة قروش فقط

الاشتراك الشهري

لشهرزاد ومسامراتها

ويجب أن ترسل اذن بوستة

الرواية التالية

غرامية عنيفة

واسمها

الحب

في ٣٣ فصلا

كل رواية من هذه الروايات مستقلة وتقع فى نحو ٢٠٠ صفحة

وثمنها عشرة ملليمات فقط وللخارج خمسة عشر

نمرة	١	اللغز	وفيه ٢٣ فصلا
»	٢	البوهيمية الحسناء	» ١٥ فصلا
»	٣	الاثر	» ١٠ فصول
»	٤	المصباح	» ١٧ فصلا
»	٥	الصندوق	» ٨ فصول
»	٦	الغول	» ٩ فصول
»	٧	عقدة	» ٠٤ فصلا
»	٨	الدكتور	» ٢٠ فصلا
»	٩	القاضى	» ٢١ فصلا
»	١٠	الجان	» ٣٠ فصلا
»	١١	الجريمة	» ٣٨ فصلا
»	١٢	الامير	» ١٥ فصلا
»	١٣	الثعبان	» ١٥ فصلا
»	١٤	الشرك	» ١٥ فصلا
»	١٥	المجنون	» ٣٥ فصلا
»	١٦	قلبان	» ٤٠ فصلا

تطلب من أيدى الباعة فى جميع الجهات ومن المكاتب ومن ادارة «الجديد» و «شهرزاد» شارع الجنينة البحرى حارة الملكين نمرة ٤

مطبعة الجديد وشهرزاد بشارع الجنينة البحرى حارة الملكين ٤